17 ème Année No. 845

Lundi — 12 — 9 — 1949

بدل الاشتراك عن سنة

مصـ

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــــدد ٨٤٥ « القاهرة في يوم الاثنين ١٩ ذو القعدة سنة ١٣٦٨ — ١٢ سبتمبر سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

رحم الله صديقي المازني !

لقد كان رَجُلُ وَحْدِهِ في طراز عيشه ونظام عمله ونمط تفكيره وأسلوب كلامه . والتفرد في الحياة والعمل والفكر والعبارة معناه في دنيا الأدب الشخصية الممتازة التي لا يغني عن وجودها وجود ، ولا يَجزى عن جهدها جهود ، ولا يسهل من فقدها عِوض . فإذا أضيف إلى ذلك أن المازني كان أحد الكتاب العشرة الذين يكتبون لغتهم عن علم ، ويفهمون أدبها عن فقه ، ويعالجون بيانها عن طبع ؛ وأن هؤلاء العشرة البررة متى خلَت أمكنتهم في الأجل القريب أو البعيد ، فلن يخلفهم في هذا الزمن الثائر الحائر العجلان من يحمل عنهم أمانة البيان ويبلغ بعدهم رسالة الأدب ، أدركنا فداحة الخطب الذي نزل بالأمة العربية يوم توفي هذا الكاتب العظيم .

عرفت المرحوم المازني في خريف سنة ١٩١٤ يوم دخلنا المدرسة الإعدادية الثانوية معلمين ، وكان يومئذ في مرح شبابه وعرمة نشاطه يتوسط باحة الأدب ويطرق باب الشهرة ويحاول هو وصاحباه العقاد وشكري أن يشقوا طريقهم إلى المجد في أرض غليظة صلدة يقوم في بدايتها عقبتان : صاحب (الشوقيات) بشعره الرائع ، وصاحب (النظرات) بنثره البليغ . ولكنهم كانوا أصحاب معول ومسطرين : يهدمون بالنقد والثلب والتجريح ، ويبنون بالتجويد والتجديد والدرس ؛ فلم يفعلوا فعل ضعفاء الملكة اليوم ، يخفضون مستوى البلاغة ليصعد القمىء ، ويقربون غاية الفن ليلحق البطىء ! !

وكان المازني على هذه الثورة وهذا الطموح خافض الجناح لأنه قوى النفس ، راكد السطح لأنه عميق الغور ، فما كنت تراه يوماً ذاهباً بنفسه ولا متبجحاً بعلمه ولا مباهياً بعمله . ثم كان على ضآلة جسمه ووهن عظمه مهيب الجانب لذكاء قلبه ورجاحة عقله ، فلا يعبث في درسه تلميذ ولا يجرؤ على كرامته معلم . ثم توثقت بيني وبينه أسباب المودة ، فزاملته في التعليم ، وصادقته في الأدب ، وعاملته في الصحافة ، فلم أجرب عليه شهد الله لؤماً في زمالة ، ولا غشاً في صداقة ، ولا سوءاً في معاملة.

كان أدب المازني أداة عيشه ووسيلة رزقه . لذلك كان يكره أن يعرضه لكيد الخصومة وعنت النقد . وكان سبيله إلى هذا أن يغضَّ هو من قدر فنه ، وأن يقلل من قيمة نتاجه ، حتى يفوّت بذلك على خصمه لذة التجنى عليه فلا يجد ما يقوله إذا أراد أن يتنقصه بنقده أو حقده . وتصغيرك لشأنك فيه معنى التواضع ، ولكن تصغير غيرك لك فيه معنى الضِّعة . على أنه كان إذا أكره على الخصومة شديد المعارضة حديد القلم يقرع صاحبه بالتهكم أكثر مما يقرعه بالحجة . ولو كان المازني مكفول الرزق من طريق غير طريق الأدب لما قصر أكثر جهده على الصحافة . ومن مساوئ الصحافة أنها تفرض على الكاتب

الموضوع وتحمله على السر [illegible] موضوع المازني القصص وفنه
الوصف . فلو أنه خلص له [illegible] ابين لأنى فيهما أعجب المعجب .

*

هذه بعض صفات الـ[illegible] الراحل ذكرتها مجملة فى مقام
الحزن على فقده والجزع له [illegible] أما سائر صفاته وتحليل ملكاته
وترجمة حياته فلها فى تاريخ [illegible] فصل طويل سأكتبه بعد قليل .

(المنصورة) أحمد حسن الزيات

الظـــمآن . . !

للأستاذ [illegible]راجى الراعى

فى ذلك المساء كنت عا[illegible]ى بيتى لأطرح على عتبته أعباء اليوم وأنا أمسح العرق الذ[illegible]ـد به جبينى وألتقط حجارة البؤس وأرجم بها الدنيا ، فش[illegible] بيد ناعمة تمتد إلى ونظرت فإذا بشبح فى عينيه ألف شعاع [illegible] أمامى وبادرنى قائلا : أنت من البائسين ولكن خفف عنك [illegible]ـياة التى ترجها تدعوك الليلة إلى جلسة شراب تقيمها لك [illegible]لأمثالك فى القصر القائم على تلك الرابية التى تراها فاذهب واش[illegible] وتمتع ، فسألته : ومن تكون أيها الشبح المشع؟ فاجاب : [illegible]رحمة ، وماهى إلا طرفة عين حتى حملة النسيم وتوارى عنى فقلـ[illegible]ـسى : هل لمثلى أن يتمتع بشىء فى هذه الدنيا ؟ [illegible]ى ولا [illegible]ـزلة جديدة فلأذهب إليها لأشهد فصولها وواصلت السير إلى [illegible] ألقيت بأحمالى على عتبة البيت ، وخرجت والليل يشتملنى [illegible]ـط الوادى وأتسلق الجبل حتى بلغت القصر فإذ[illegible] يعج [illegible]ـون يتدافعون بالمناكب ليستمعوا إلى الكلمات التى كانت تـ[illegible] عليهم امرأة توسطت المكان ، طويلة القامة بدينة ، ورحـ[illegible]ـن الصفوف المتواصلة حتى دنوت من تلك المرأة فسمعتها تقول [illegible]ـا الحياة … أعرف أنكم البائسون من أبنائى الذين طالما عبس[illegible] وجوههم وقد رأيت أن أجمعكم منذ اليوم مرة فى العام لأ[illegible]ـلكم أثمن ما لدى من الكؤوس وأسكب لكم منها فتبتل [illegible]ـم الجافة ببعض ما حرمتموه من [illegible]ى … أنا الحياة ، ولى كـ[illegible] وأنفرها وأجملها وأعزها ثلاث:

ورفعت بيدها الكأس الأولى وقالت : هذه هى الكأس الصفراء كأس الثروة من شربها اتسع أمامه مدى العيش وأقام القصور الناطحة السحاب واقتنى الأرض الفسيحة الرحاب ونال ما يشتهيه من الطيبات وتحدى الأقدار ، ورفل بالدمقس والحرير وبسط الموائد المثقلة بما لذ وطاب من الطعام والشراب … ورمت الحضور بقبضة من الدنانير فهجموا يلتقطونها وصبت خمرة الثروة فشربوا جميعهم … أما أنا فلم أشرب …

ثم رفعت الكأس الثانية وقالت : هذه كأس الكؤوس ، كأس المرأة يحفها الحب والجمال ، من شربها فرشت له الجنات تجرى من تحتها الأنهار وتدفقت عليه قبل الحسان وحملته أجنحة القلب إلى آفاق الغبطة والنعيم وتنشق الرياحين وسجع له الحمام وانتقل بين الزهر والورد وذاق الشهد … وأطلقت فى تلك القاعات فتاة غضة بضة سمراء الوجه دعجاء العينين رشيقة القد يفوح منها عبير الحسن وتشع عيناها بالإغراء والفتنة فتخاطفت وجنتيها وتنافست فى ثغرها القبلات … وصبت الحياة خمرة المرأة فشرب الجميع … أما أنا فلم أشرب …

ورفعت الكأس الثالثة وقالت هذه هى الكأس الحمراء ، كأس المجد ، كأس الفاتحين الغزاة من شربها دقت له الطبول وخفقت فى سمائه الرايات وسارت فى ركابه الجيوش واكتسح البلدان وأخضع الشعوب وثمل بخمرة النصر ونصبت له التماثيل والعروش … ودارت على الناس بأكاليل من الغار فزينوا بها رءوسهم ، وصبت خمرة المجد فشرب الجميع … أما أنا فلم أشرب …

كنا عشرة آلاف من بائسى (هيجو) يغص بنا القصر ، وكان الجميع من حولى يهللون للحياة ويترنحون بخمرها ويثنون على كرمها وحنانها إذ جادت عليهم وهم المحرومون بساعة من ساعات نعيمها .. وكانت الحياة تطرب لبنيها وهم يطربون ولكن ساءها أن لا أكون من دعاتها المهللين وسكاراها الطروبين وراحت تسأل عنى وقد جرحت كبرياءها وما لبثت أن أقبلت على والعيون تحدق إلينا والقوم يتهامسون وسألتنى : من أنت ؟ فأجبتها : أنا الظمآن .. الظمآن القامح ، الظمآن كله ! فقالت : ولم لا تشرب من كؤوسى التى أدرتها على رفاقك ؟ فقلت : أنت تجهلين نفسك أو تعرفينها ولكنك تخدعين فالكؤوس التى عرضتها وسكبت فيها

في الأدب المهجري (*)

للأســــتاذ حبيب مسعود

ليس من شأني في هذا الحديث أن أعرض عليكم صورة عن الأدب العربي في كل أنحاء العالم الجديد . فذلك يقتضي وقتاً طويلاً ودراسة مستفيضة ، وإنما أقتصر في حديثي على أدبنا في البرازيل ؛ ومتى ذكرت هذا القطر الكبير بمساحته وشعبه فلا يسعني إلا أن أحيي فيه رمز الكرامة والسماحة ، وموطن الحرية والضيافة ؛ فقد فتح صدره لقومنا وغمرهم بعطفه ومتعهم بشرائعه الحرة فأصابوا فيه من نعمه ما أصابوا وكان لهم هذا المقام الذي يحتلونه .

لقد بلغكم ولا شك الشيء الكثير عن مآتي قومنا في البرازيل وسمعتم عن المكانة المادية والأدبية التي وصلوا إليها بعد جهاد سبعة عقود من الزمن وفروا له من العزيمة والجلاد ما تضؤل عنده بطولة الأساطير .

ولست معيداً فصول المآسي والبطولة في حياتهم المهجرية فهي أبعد من أن تستوعبها الكلمة العجلى فأحصر كلامي في الناحية الأدبية لعل فيها جلاء للذين يعتقدون أن المغتربين أصحاب بيع وشراء وحسب ، أو أن الأدب العربي المهجري أدب مسيخ لا يمت إلى الفصحى بنسب .

الأندلس الجديدة لقب أطلقوه على البيئات العربية (وكلها من سوريا ولبنان وفلسطين) التي تكتلت في العالم الجديد وكونت عنصراً له قواه المادية والمعنوية ، تشبهاً بالأندلس القديمة التي فتحها العرب وأنشأوا فيها تلك الدولة التي لم يجل ما قيل فيها حتى الآن حقيقة كيانها ، فإن كل ما كتب في التاريخ الأندلسي من دوزي وكونده ودلريو إلى بروفنسال وكوديرا وريبيرا وبالاسيوس وغيرهم من الأفرنج والعرب لم يسبر غور تلك الحقبة الطويلة من الزمن وهي تناهز الثمانمائة من السنين . أما نحن فإننا نستقي تاريخ الأندلس من مناهل مؤرخي الغرب وعلمائه ونعتمدهم في دروسهم الاستقرائية ومباحثهم التحليلية فنستشهد بما قاله دوزي الهولاندي وريبيرا الأسباني .

إن بين الأندلس القديمة والأندلس الجديدة فرقاً من وجهة وشبهاً من وجهة أخرى . فالفرق هو أن العرب دخلوا الأندلس فاتحين ففرضوا سلطانهم ونشروا هيبتهم وحموا بسيوفهم مؤسساتهم ومعاهدهم ولغتهم فدرج الأدب والعلم في ظلال أعلامهم وزها الشعر

(*) محاضرة ألقاها الأستاذ في الجامعة الأمريكية ببيروت .

أيتها الضالة المضللة كؤوس وهمية خداعة لا تجدي ولا تروي .. إنك لا تستطيعين أن تعطي أكثر مما عندك ، وما عندك ليس بالشيء الكثير ولا هو بالترياق لعليل مثلي فلو أعطيتني كل ما لديك من الذهب ونفحتني بكل ما لديك من النساء وصور الحب والجمال وزينت رأسي بكل ما لديك من أكاليل الغار ووهبتني الدنيا بأسرها لما اكتفيت ولا هدأت نفسي .. ما الفائدة من الكأس إذا لم ترو شاربها ؟ أنا هو الإنسان ، أنا هو الظمأ المستديم وليس في كؤوسك ما يرويني ، أنا لسان من اللهيب يندلع وليس في وسعك أن تقطعيه ، أنا نار ليس في يدك رمادها .. إن بينك وبين نفسي منذ تعرف أحدنا إلى الآخر لفلوات شاسعات كتب لي أن أظل مكتوياً بضرامها حتى يفتح الله لي شرفة من دارك على الآخرة حيث آمل أن أرى وجه الله وأذوب فيه وأرتوي . . أنا الظمأ وأنت لا ترويني ، أنا الإنسان الكبير وأنت الحياة الصغيرة وما هو ذهبك ، ما هي نساؤك وما هو مجدك إذا جاشت الجائشات في صدري وأطلقت خيالي ... أنا ظمآن ، ظمآن إلى الله وأنت كافرة ظمآن إلى الحق وأنت الباطل ، ظمآن إلى الوفاء وأنت الخيانة ، ظمآن إلى الخلود وفي كأسك ثمالة الموت ! أنا ظمآن خلقت ظمآناً من قوم ظامئين وأجتاز صحاريك ظامئاً وسأموت ولساني جاف وشفتاي المرتعشتان تتلمسان الغيب وتلتهبان شوقاً وحنيناً إلى الماء الذي هو الماء والخمرة التي هي الخمرة .. ومن أجل ذلك أنا واجم كئيب وبائس يائس فلا ترأفي بي أيتها الحياة ، إن رأفتك لا تجديني ولا تفخري بكؤوسك بعد اليوم ولا تسكبيها فهي تؤلمني ولا تكفيني ...

راجي الراعي

فى مخائل مجدهم ، فى حين أن قومنا دخلوا أرض كولبس مسترزقين طالبين عطفاً وسائلين عدلا . أما وجه الشبه فى هذه الدولة الأدبية التى بناها قومنا هناك شأن العرب فى الأندلس .

إن لانتقال العربية إلى الوطن البرازيلى ونشرها بين عشيرتنا المتغربة بالصحف والكتب حكايات لا تقل غرابة عن حكايات ألف ليلة وليلة ، فالصحافة العربية كانت فى أول عهدها ضرباً من الاستشهاد ، ومزاولة الأدب العربى فى تلك البيئة الغربية كانت نوعاً من الانتحار . ذلك لأن متغربينا الأوائل كانوا فى معظمهم أميين أو شبه أميين ، ولم يكن همهم الأوحد إلا اقتناص الرزق وادخار الكسب . فما يجرى فى عروقنا قد ورثناه عن أولئك الذين قذفوا بأول قارب إلى البحر وعرفوا العالم الجديد قبل كولمبوس وأميركو بآلاف السنين ، وعن أولئك الذين توغلوا فى قلب آسيا وفتحوا بلاد القوط من مناصرة متغربنا الأول الذى ركب البحر إلى ديار بعيدة يجهل حتى اسمها أسست دولة ضخمة بصناعتها وتجارتها لا يدرك عظمتها إلا من خبرها ، ومن مجازفة ذلك الأديب الذى أنشأ أول نشرة عربية قامت الدولة الأدبية التى دعيت الأندلس الجديدة .

فالأندلس الجديدة هى نشيئة الأديب المتغرب الذى استشهد فى سبيل قومه ومن أجل لغته . زهد فى كل شىء ما خلا وطنه ، وقنع بالبلغة لكى يحافظ على لسانه . وليس الفضل أن تصون لغتك وأنت قابع فى ديارك وبين عشيرتك ، وإنما الفضل كل الفضل أن تصونها وتحضنها وتشقى من أجلها وأنت فى بلاد غريبة عنك لساناً وعادة وعرقاً .

على أن هذا المناضل الذى ذكرت لم يسلم من افتراء بعضهم حتى أن أحدهم وهو من أدباء دمشق عرض بأدباء المهجر عامة وتنقص شعراءه . وقد يكون عذره الوحيد أنه ألقى كلامه جزافاً أو أنه وقع عرضاً على بضاعة تافهة ، ومثل هذه البضاعة كثير هنا وهناك وفى كل مكان . ولو تروى ومحص وكشف الرغوة عن الصريح لأدرك أن فى المهجر عناصر لها مكانتها الرفيعة فى اللغة والأدب والشعر ، وأن أمثالها قليل فى أى قطر من الأقطار العربية . لست مفاخراً ولا متزلفاً فسأورد لكم بعد قليل أمثلة من نتاج أدبائنا المغموطين ولكم أن تتخذوا منها حجة لى أو على

تقلب الأدب العربى فى البرازيل بين مد وجزر ، وتنازعته عوامل البقاء والفناء مراراً ، ولد فقيراً بين حفنة من البشر نزحت عن وطنها طلباً للرزق ، ودرج هزيلاً لسوء غذائه المادى والأدبى ، وشب نشيطاً يجرى فى عروقه دم استمده من قافلة أدبية جديدة لحقت بالقافلة الأولى ، وتمطف عليه بيئة ارتفع مستواها العقلى وباتت تتذوق الأدب وتقبل على جيده . أما اليوم فقد دخل فى طور كهولته فأينعت ثماره وطاب شرابه . عندنا اللغوى المدقق ، والشاعر المنطلق فى أجواء الإبداع ، والمنشىء الناصع الديباجة ، والكاتب الذى يجمع بين روعة الأسلوب وعمق التفكير

وعندنا المدارس التى تعلم العربية وقد طالما أخرجت الألوف من نشئنا وعلى ألسنتهم لغة قحطان ، وفى قلوبهم صبوة لوطن آبائهم ، وعندنا الأندية التى ما برحت سوقاً يتبارى فيها فرسان الشعر والأدب . ما انطوى علم من أعلام الأدب أو الوطنية إلا تحدث ذكراه بمهرجان أدبى . فى تلك الأندية شهر فضل محمد عبده ، وفرح أنطون ، وسليمان البستانى ، ومصطفى المنفلوطى ، والحسين ، وفيصل ، وعبد الله البستانى ، وفوزى المعلوف ، وجبران ، ورشيد أيوب ، والريحانى ، ورشيد نخلة ، وميشال المعلوف ، ونعمة يافث ، وشكرى الخورى ، وعقل الجر وغيرهم ممن تفوتنى أسماؤهم . أما الحفلة الكبرى التى أقامتها العصبة الأندلسية لذكرى المتنبي الألفية فقد بزت بروعتها وبما قيل فيها من الشعر كل ما ألقى فى الحفلات الأخرى ، ولقد حلق شعراؤنا فى سماء الإبداع حتى جاوروا شاعر العرب الأكبر .

أما الصحف العربية التى ظهرت فى البرازيل منذ بدء الهجرة حتى يومنا فتجاوز الخمسين ، وقد بلغ عددها قبيل الحرب العالمية نحواً من خمس وعشرين صحيفة بين مجلة وجريدة لم يبق منها إلا مجلتان وثلاث جرائد .

لم تكن الصحافة العربية فى المهجر إلا مدارس نقالة تحمل إلى قومنا الثقافة والأدب ، ورسولاً ينقل إليهم أخبار أوطانهم وذويهم ، وبوقاً يذيع مآثرهم ، وصديقاً يواسيهم فى أتراحهم ويشاركهم فى أفراحهم ومعلماً يلقنهم القراءة والكتابة .

بيد أن ظهور العصبة الأندلسية كان أكبر أثر أدبى فى تاريخ الأدب العربى بالبرازيل . ففى عام ١٩٣٣ وقد استفحلت

فوضى الأقلام ، شعر نفر من أدبائنا على رأسهم الطيب الذكر ميشال بك معلوف بافتقارهم إلى رابطة تجمع شملهم وتصون أدبهم فتنادوا وتعاقدوا وأجمعوا على إنشاء مؤسسة أدبية دعوها العصبة الأندلسية تيمناً بالعصر الأندلسي الزاهر . وفي عام ١٩٣٥ قر رأيهم على إصدار مجلة تنقل نتاجهم الأدبي وعهدوا إلى هذا الحقير الواقف أمامكم في رئاسة تحريرها . وليس لي أن أقول شيئاً في هذه المجلة فالرأي والحكم لمن رافق حياتها وبينكم منهم كثيرون ، وإنما لي كلمة أقولها وفاء لحرمة الأدب وهي أن « العصبة » كانت وما تبرح الصحيفة التي لم تمن لتأثير شخصي مهما كان حوله وطوله ، ولم تمن بغير الأدب والثقافة ، فمن الأدب الذي لا يؤمن إلا بالكفاءة والنزاهة والصراحة والتضحية نشأت ، ولأجل هذا الأدب وحده تعيش .

تحمل « العصبة » شهرياً في المائة والعشرين من الصفحات نتاج الأدباء المنضمين تحت لوائها وغيرهم . ورسالة « العصبة » أن تنقل إلى الشرق العربي أدب المهجر ، وإلى المهجر أدب الشرق ، وهي رسالة وقفنا لها قلوبنا ودفعنا إليها هيامنا بهذه اللغة التي حضنتنا في جوانحنا . ورسالة « العصبة » أيضاً أن تطلع العالم العربي على بدائع الفكر الغربي ولا سيما البرازيلي . ها كم مثالاً ، هذا المقطع عن الشاعر البرازيلي الكبير كاسترو ألفس وقد نقله شعراً شفيق معلوف رئيس العصبة الأندلسية وعنوانه «المبقري» :

هو لو طوف في الدنيا وجابا ... معن الأرض ذهاباً وإياباً
لقضى العمر يند الناس عنه
كفه فارغة ، والأرض ملأى ... ولئن قرّب ، والأحشاء ظمأى ،
فـمـه للنهر ، فر النهر منه
لم يصب مأوى على وسع الفيافي ... لا ولا ظلا ، وظل الناب ضاف
لا ولا ضمة تحنان وعطف
ولئن لوّح في عرض الطريق ... بيديه ناشداً كف صديق
لم يفز إلا بتصفيق الأكف
سار في قفر بعيد الدرب وعر ... ينقل الخطوات من نصر لنصر
حاملا من مجده زاداً وقوتا
قيل هـذا مبقري لا يموت ... فمضى يسأل : هل يوماً حييت
يا بني قومي لأخشى أن أموتا

ودونكم هذه القطعة للشاعر البرازيلي فيسنتي دي كارفاليو وقد ترجمها نثراً أخونا في العصبة الأندلسية يوسف البعيني وعنوانها « اختراع الشيطان » :

« تقاسم الله والشيطان هذا العالم فكانت حصة الله الأفلاك ، وحصة الشيطان العالم الموبوء بالمعاصي والشرور الذي لا ينبت إلا العوسج ولا يلد سوى الأفاعي والثيلان . وخرج الشيطان مرة من وكره الناغل بالعفاريت وصعد إلى السماء حيث يرتكز عرش الآلهة . وفيما هو يتهادى مخلوباً بمناظر النعيم شاهد حواء مستلقية بجسمها العاري في ضوء القمر فحسبها في أول الأمر قطعة من المرمر الشفاف . ولكنه دهش إذ علم أن صاحب هذا الهيكل البض امرأة تتمشى في أعضائها حرارة مبهمة — هي حرارة كل كائن حي .

وما كاد يفكر قليلاً حتى تجسدت في مخيلته صورة اختراعه الفذ فاقترب من حواء وسكب في فمها الوردي الجميل كأساً من السم . عند ذلك تبسم بخبث ودهاء ومضى مسروراً لأنه اخترع قبلة المرأة ! . . . »

ولا أزيدكم ، ففيما أوردت كفاية للدلالة على بدائع الأدب البرازيلي

وقعت أخيراً على بحث لأحدهم في أدب المهجر عزا فيه روح التجدد إلى أدباء الشمال يوم كان جبران يتزعمهم ، واتهم إخوان العصبة الأندلسية بالمحافظة على الأساليب القديمة . أقول إذا كان جبران وبعض إخوان الرابطة القلمية قد فتحوا بتفكيرهم جواء جديدة فهذا لا يعني أن كل أديب في أميركا الشمالية بلغ شأوهم ، أو أن أدباء العصبة محافظون لأنهم لم يسبحوا في تلك الجواء . أما إذا كان المراد من الأساليب القديمة الصينة اللفظية والمحافظة على ضوابط اللغة فليس في ذلك موضع للغمز واللمز . ألم يخلق جواً جديداً فوزي المعلوف في بساط ريحه ، وأخوه شفيق في عبقره ، والشاعر القروي في حضن الأم ؟ أما إذا كان التفكير الجديد يقتضي أسلوباً جديداً ، والأسلوب الجديد يقتضي خروجاً على اللغة وبلبلة في التركيب ورطانة في التعبير ، فلست مبرئاً إخواني من التهمة بل أعلن على رؤوس الأشهاد أنهم محافظون أكثر من تشرشل وأعوانه .

ثم لا أدرى ماذا يقصد بعضهم بالتجدد وقصة التجدد طويلة عالجتها الأقلام وتناولتها مساجلات عنيفة بين مقدسى الأدب القديم ، ومحقرى تراث الغابرين . وكلا الرأيين فى شرعى مغال ، فليس فى الأدب قديم ولا حديث ، وإنما فيه جيد وسقط ، والجيد يظل جيداً مهما قدم ، والسقط لا قيمة له سواء كان قديماً أو حديثاً.

بعد ألف عام ما ننفك نطأطىء الرأس احتراماً لخرائد المتنبى ، وبعد أحد عشر قرناً ما زال ابن المقفع والجاحظ أميرى القلم وسيدى البيان وإمامى المنشئين.

والتجدد ليس علماً يلقن أو قواعد تدرس ، إنما هو نزعة خلاقة فى الفكر ، وصبوة فى النفس إلى الإبداع ، وملكة فى الطبع تأبى الانقياد . والمجددون هم صنف من العباقرة أوتوا موهبة الفتح والقدرة على الخلق ، وليس فى طاقة كل أحد أن يكون مجدداً ، وإنما فى طاقته ألا يكون مقلداً .

وسألنى بعضهم هل لأدب العصبة الأندلسية اتجاه خاص أو طابع معروف به ، فكنت أجيب : لا أعرف للأدب اتجاهاً واحداً ولا طابعاً خاصاً ، وإنما أعرف أن الأدب فن كسائر الفنون الجميلة يمكنك من التعبير عن مشاعرك وتصوير ما ترتسم بأفكارك وتدوين ما يجرى فى أيامك وتعريف ما يقع تحت نظرك من المشاهد وغير ذلك من الأغراض . وأعرف أيضاً أن لكل أديب اتجاهاً وطابعاً لميوله وثقافته وبيئته . أما هذه الأنماط التى يعرفونها تارة بالمدرسية وطوراً بالوجدانية ومرة بالرمزية فهى أشبه شىء بالأزياء التى يستحدثها هواة الطرافة يقبل عليها الناس زمناً ثم يهملونها . قالوا إن هوجو وجماعته ابتدعوا المذهب الرومانطيقى الذى يستمد الشاعر والخيالات والصور الطبيعية ، والواقع أن هذا المذهب قديم جداً تلقاه فى التوراة وفى أدب الهند والأندلس وغيرها ، فهو لا يخرج عن زى قديم ، كما أن الرمزية التى يريد دعاتها اليوم أن يرفعوا علمها على أنقاض الرومانطيقية ليست سوى الصوفية بعينها .

أنا لا أستنكر المذاهب الكتابية مهما كان شأنها لأنها تحمل روح الابتكار ودلائل الحياة ؛ فالركود آخرته العفن والجمود معناه الموت ، لكنى لا أعتبرها من الأدب أسسه وأركانه ، فالمذاهب تتغير أما الأدب فباق . لقد كانت الموشحات فى عصرها بدعة استهوت الألباب ، ثم خمل شأنها مع الزمن حتى كادت تهمل فى أيامنا على انتشار الغناء وهى فى أصلها ابتدعت للغناء والطرب . أما أدب امرىء القيس وعمر بن أبى ربيعة والمتنبى وابن المقفع والجاحظ وابن خلدون وأضرابهم فراسخ كالطود مهما تنوعت المذاهب وتجددت طرق التعبير .

وهذه بعض قطع لشعرائنا لم أخترها وإنما وقعت على أكثرها هنا فى بضعة أجزاء من « العصبة » . ابتدىء بقصيدة « ساعى البريد » وقد نظمها شاعرنا شفيق معلوف فى أثناء الحرب الأخيرة تخيل فيها أماً فى وطننا تترقب ساعى البريد لعله يحمل إليها خبراً من ابنها فى المهجر :

ساعى البريد وما ينفك منطلقاً ... وكل باب عليه غير موصود
يسعى بأكداس أوراق مغلفة ... تفوح منهن أطياب المواعيد
خلف النوافذ أجفان مشوقة ... إليه تخفق من وجد وتسهيد
بدا فهز عقود الغيد مقدمه ... هز النسيم لحبات العناقيد
كم قبلة من فم المشتاق يحملها ... على يديه ويهديها إلى الغيد
يا ساعياً بابتسامات توزعها ... على الشفاه بلا من وترديد
كم وجه أم عجوز إن زرت له ... لم تبق من أثر فيه لتجعيد
تلقى إليها كتاباً إن يصب يدها ... شدته باليد بين النحر والجيد
كأن كل غلاف منك ملتحف ... بابن إلى صدر تلك الأم مردود

وهذه قطعة لشاعرنا رشيد سليم خورى المعروف بالشاعر القروى عنوانها « الغفران » :

قمت قبل الطيور أشدو حبوراً ... لا أرى باعثاً لفرط حبورى
مؤنساً وحشة الفضاء كأنى ... نبأ طيب سرى فى الأثير
أتهادى بين الغصون كغصن ... وأناغى العصفور كالعصفور
وعلى وجنتى للورد ظل ... عائم فوق موجة من نور
قلت ربى أزال عهد شقائى ... أم أرانى فى عالم مسحور
وإذا زهرة كوجنة طفل ... جنبها شوكة كناب هصور
فتذكرت ليلة الأمس رؤيا ... باح لى وردها بسر سرورى
إن كف الرحمن تحت سكون ... الليل بالعفو فأملت فى سريرى
فرمت نفحة من العطر فى قلبى ... وعادت بشوكة من ضميرى

وهذه مقاطع من قصيدة « النغم الأخيرة » لشاعرنا شكر الله الجر :

وقفت ... وقد نفث الدجى فى وجنتيها نجمتين
وأذاب حبة قلبه فى شـــعرها والحدقتين

وتفتقت فى الأفق أكمام الغمام عن القمر
فبدا لها كالوردة البيضـــاء فتحها السحر

والنهر كالديباجة الخضراء جعدها النسيم
ينساب مثل اللوعة الخرساء فى صدر الكريم

والحور عند ضـــفافه مما ألم به ارتبك
ألقى شـــباك ظلاله فاصطاد أخيلة السمك

وأقتطف هـذه الأبيات من قصيدة نظمها شاعرنا نصر سمعان فى « المصدور » :

نزيف دم أرقت به شبابك   أصاب الأرض منه ما أصابك
أقبـل الموت تنثره وتشقى   به فى كل آونة ترابك
ملأت مسامع الدنيا أنيناً   أذعت به على الدنيا مصابك
وما لك يا حليف اليأس إلا   حديث اليأس عن ألم أذابك
تحس الكف كف الموت فيها   إذا لمستك أو مست ثيابك

وهذه أبيات من قصيدة « مخازن الأظلال » لشاعرنا المدنى قيصر سليم الخورى :

يا دهر كم لك منة عندى وكم   من منة للدهر رهن زوال
نأوى البيوت إذا استهلت ديمة   ونفر منهـا ساعة الزلزال
متع الليالى لا تدوم وطالما   حـذر الحاذر جره لوبال
ينجو المغفل وهو فى حدق الردى   ويصاب فى عينيه حين يبالى

وهذه أبيات لشاعرنا حسنى غراب من قصيدة يدفع فيها ما اتهم به العرب أحد كتاب الأجانب :

قل للألى حملوا علينا حملة   شعواء شبت نارها الأهواء
ما نحن ما رسمت لكم أوهامكم   بل نحن مما تزعمون براء
نهتز عجبـاً واختيالاً كلما   عصفت بنا من ريحكم هوجاء
وتظل أعراض الكرام نقية   بيضاء مهما عابها السفهاء

وأخيراً هاكم هذه الأبيات من قصيدة لفقيد الأدب العربى عقل الجر بعنوان « أمى » :

ذكرت ولكن لكم عبر   أموراً تقضت زمان الصغر
غـداة أدب دبيب النمال   وحولى تدب صروف القدر
أتنتنغ لا مفصح كلمـة   فتحسب أى كلامى درر
وأعبث فى البيت مستبسلاً   فأى إناء أصبت انكسر
وأبكى فيضجر بى والدى   وليس يلم بأمى الضجر
فتلهب خـدى فى لمسها   وتمسح عن مدمعى ما انهمر
فديتك أماً تسام العذاب   النهار وفى الليل ضنك السهر

هذا مثال خطيف من أدب الأندلس الجديدة اقتصرت فيه على النظم دون النثر . هذا من شعر المهجر الذى أبى أحدهم أن يتعرف إليه لأنه ليس شعراً عربياً . وهذا أيضاً شىء من نتاج العصبة الأندلسية وقد قال فيه آخر إنه من طراز الجاهلية .

لا هذا ولا ذاك ، بل هو شعر جمع إلى فخامة الديباجة دنيا من الألوان والصور والرقة والفتنة ، فليس فيه ميعة الشعر الأندلسى ولا خشونة الشعر الجاهلى .

أقول مجاهراً فى هذا المعهد العلمى الذى يحترم حرية الرأى : إن أديب المهجر مغموط حقه ، وإن أديب الأندلس الجديدة مبخوس فضله . ولكن إن لم تقدر الأقوام العربية اليوم شأنه فسوف يقدرونه غداً بعد أن تفقد الأندلس الثانية ويقيمون له ضريحاً ومزاراً يحمل هذه الكلمات : « هنا يرقد الأديب العربى المجهول » .

حبيب مسعود

رئيس تحرير مجلة العصبة الأندلسية

ركن المعتزلة :

فكرة الله عند المعتزلة

للدكتور ألبير نصري نادر

نزل القرآن الكريم يتحدث عن الله تعالى خالقاً للكون مدبراً له . والتوراة والإنجيل يتحدثان عن الله وعن صفاته . والكون بأثره وما فيه من نظام يدل على وجود كائن أول متعال ، والمعتزلة لا تشك أبداً في وجوده تعالى ولكن جل همها كان البحث في ماهيته وعلاقته بهذا العالم المخلوق .

نفي صفات الله :

تفخر المعتزلة بأنهم أهل توحيد . ولكن كل مؤمن موحد أيضاً — ولما كان التوحيد اعترافاً بوجود إله واحد نجد المعتزلة على حذر كبير في التحدث عن صفاته تعالى خوفاً من أن يؤدي الكلام في هذا الموضوع إلى شرك يقضي على كل توحيد . لذلك نفت الصفات عن الله .

والأصل الأول الذي كان يقول به واصل بن عطاء رأس المعتزلة (المتوفى سنة ١٣١ هـ) هو نفي صفات الباري تعالى من العلم والقدرة والإرادة والحياة (١) . لأن واصل أراد أن يرد فكرة الأقانيم (٢) عند النصارى ، وكان يرى فيها ثلاثة آلهة ، إذ أن الثلاثة قديمة . فخشي أن تؤدي فكرة الصفات حتى الأزلية إلى شرك عند المسلمين ؛ لذلك جنح إلى التنزيه البحت وبه نفى أن يكون لله تعالى صفات غير ذاته .

كانت هذه المقالة في بدئها غير نضيجة . وكان واصل بن عطاء يشرع فيها على قول ظاهر وهو الاتفاق على استحالة وجود إلهين قديمين أزليين ، لأنه من أثبت معنى وصفة قديمة فقد أثبت إلهين .

ثم شرع أصحاب واصل في هذه المقالة بعد مطالعة كتب الفلاسفة وانتهى نظرهم فيها إلى رد جميع الصفات إلى كونه عالماً قادراً ثم الحكم بأنهما صفتان ذاتيتان هما اعتباران للذات القديمة (١)

والمعتزلة حجة قوية في نفي الصفات وردها إلى اعتبارات ذهنية للذات .

موجزهم :

يقول المعتزلة : لو قامت الحوادث بذات الباري لا تصف بها بعد أن لم يتصف ؛ ولو اتصف لتغير ، والتغير دليل الحدوث إذ لا بد من مغير (٢) فإذا ما تكلمنا عن علم الله مثلاً لا يجوز أن نعتبر العلم صفة قائمة بذاته تعالى ؛ لأنه إما أن تكون هذه الصفة أزلية كالذات ، وإما أن تكون حادثة . فإذا كانت أزلية فكيف يمكنها أن تحل في الذات ؟ وإذا حلت فيها كان هناك أزليان — وإذا كانت حادثة وحلت في الذات فكانت الذات قد تغيرت من حال (حال عدم العلم) إلى حال (حال العلم) والتغير دليل حدوث ؟ فتكون الذات حادثة في صفاتها . وهذا ما لا يتفق وكماله تعالى .

تعريف المعتزلة لله :

نجد في كتاب « مقالات الإسلاميين » (٣) للأشعري تعريفاً كاملاً شاملاً لله حسب رأي المعتزلة . فيقول : « أجمعت المعتزلة على أن الله واحد » (ليس كمثله شيء (٤) وهو السميع البصير) .

وليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة ولا لحم ولا دم ولا شخص ولا جوهر ولا عرض ولا بذي لون ولا طعم ولا رائحة ولا مجسة ولا بذي حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة ولا طول ولا عرض ولا عمق ولا اجتماع ولا افتراق ولا يتحرك ولا يسكن ولا يتبعض . وليس بذي أبعاض وأجزاء وجوارح وأعضاء ، وليس بذي جهات ولا بذي يمين وشمال وأمام وخلف وفوق وتحت ولا يحيط به مكان ولا يجري عليه زمان ولا تجوز عليه المماسة ولا العزلة ولا الحلول في الأماكن .

(١) الشهرستاني : الملل والنحل على هامش الفصل لابن حزم جزء أول صفحة ٥٣

(٢) الأقانيم ثلاثة : الآب وهو الوجود ، والابن أو الكلمة وهو العلم ، والروح القدس وهو الحياة (شرح المواقف لجلبي ج ٦ ٤٢٦)

(١) الشهرستاني : المصدر نفسه .

(٢) الشهرستاني : نهاية الأقدام ص ١١٥ من طبعة لندن وترجمة جيوم

(٣) كتاب مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، تأليف الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتوفى سنة ٣٢٤ هـ ، عني بتصحيحه هـ ريتر طبع استانبول سنة ١٩٢٩

(٤) سورة الشورى ٤٢ الآية ١١

ولا يوصف بشىء من صفات الخلق الدالة على حدثهم ، ولا يوصف بأنه متناه ، ولا يوصف بمساحات ، ولاذهاب فى الجهات ، وليس بمحدود ، ولا والد ولا مولود ، ولا تحيط به الأقدار ، ولا تحجبه الأستار ، ولا تدركه الحواس ، ولا يقاس بالناس ، ولا يشبه الخلق بوجه من الوجوه ولا تحل به العاهات ، وكل ما خطر بالبال وتصور بالوهم فغير مشبه له .

لم يزل أولاً سابقاً متقدماً للمحدثات ، موجوداً قبل المخلوقات ، ولم يزل عالماً قادراً حياً ، ولايزال كذلك ، لا تراه العيون ولا تدركه الأبصار ولا تحيط به الأوهام ولا يسمع بالأسماع .

شىء لا كالأشياء . عالم قادر حى لا كالعلماء القادرين الأحياء ، وأنه القديم وحده ولا قديم غيره ولا إله سواه ولا شريك له فى ملكه ولا وزير له فى سلطانه ولا معين على إنشاء ما أنشأ وخلق ما خلق . لم يخلق الخلق على مثال سبق ، وليس خلق شىء بأهون عليه من خلق شىء آخر ولا بأصعب عليه منه . لا يجوز عليه اجترار المنافع ولا تلحقه المضار ولا يناله السرور واللذات ولا يصل إليه الأذى والآلام . ليس بذى غاية يتناهى ولا يجوز عليه الفناء ولا يلحقه العجز والنقص . تقدس عن ملامسة النساء ، وعن اتخاذ الصاحبة والأبناء .

فها نحن بصدد تعريف جله نفى كل صفة عن الله ؛ ونتيجة لهذا التعريف لا يمكننا أن نكوّن عن الله فكرة حقيقية وواقعية أى موضوعية ، ولا يمكننا أن ندرك فكرة اللاألوهية حتى ولا بالمشابهة مع المخلوقات ، لأن فكرة اللاألوهية متعالية عن كل مخلوق مجردة عن كل صفة يتصف بها المخلوق — وهذا ما جعل المعتزلة تقول بأن الخلق لا يستمد ماهيته من الله ، لأنه لو كان الأمر كذلك لوجد تشابه فى الماهية بين الله والخلق ؛ ولكن ماهية الخلق لا تشارك البتة ماهية الله التى نجهلها تمام الجهل — وتنتهى المعتزلة إلى القول بأن الله لا يمنح سوى الوجود للخلق ، وكل ما عدا الوجود فلا يوجد أى تشابه بينه وبين الله .

أن هذه النقطة فى غاية الأهمية لما يترتب عليها من أقوال ونظريات تتعلق بمسألة خلق العالم وماهيته .

تحليل هذا التعريف :

إذا نظرنا إلى هذا التعريف نظرة تحليلية وجدنا أنه رد على اعتقادات مختلفة إسلامية كانت أو مسيحية أو مجوسية ؛ كما أنه رد أيضاً على نظريات فلسفية كانت منتشرة فى عصر المعتزلة أى فى القرنين الثانى والثالث للهجرة .

كانت الرافضة تقول وهى معتقدة أن ربها جسم ذو هيئة وصورة يتحرك ويسكن ويزول وينتقل؛ وأنه كان غير عالم ثم علم ، وأنه يريد الشىء ثم يبدو له فيريد غيره (1) .

ومن جهة أخرى تقول المشبهة بأن البارى تعالى يشبه الخلق فى شعوره وإحساسه وتفكيره وإرادته حتى أن بعضهم قال بأن له أعضاء كأعضائنا تماماً محتجين ببعض آيات مثل (يد الله فوق أيديهم)(2) . (وقالتِ اليهود يدُ الله مغلولة)(3) . (ويَبقى وجهُ ربك ذو الجلال والإكرام) (4) (الرحمن على العرش استوى)(5) والمشبهة تأخذ بهذه الآيات حرفياً بدون أى تأويل .

لذلك نفت المعتزلة الجسمية عن الله كما نفت كل ما يتعلق بالجسم من حركة وسكون وصورة ولون الخ . . كما هو واضح فى الجزء الأول من التعريف . وكذلك نفت عنه تعالى كل ما يتعلق بالنفس الإنسانية من شعور ومعرفة (بمعنى المرور من درجة إلى درجة أسمى فى المعرفة) وإرادة (بمعنى الاختيار) ، وقالت إنه تعالى « لا يقاس بالناس ولا يشبه الخلق بوجه من الوجوه » . ولا نعلم شيئاً عن ماهيته سوى أنه الواحد ، فتكون المعتزلة لا أدرية agnostiques .

وبينما يقول النصارى بثلاثة أقانيم فى الله نجد المعتزلة يرفضون كل فكرة عن الأسرار ويعلنون بأن الله « لا والد ولا مولود ولا شريك له فى ملكه » .

ونجد أخيراً فى هذا التعريف رداً على المثل الأفلاطونية(6) التى كما يقول أفلاطون قد أنشأ الله الخلق على صورتها . ولكن المعتزلة ترى فى هذه المثل الأزلية شرك لله وتقول أن لا معين على إنشاء ما أنشأ وخلق ما خلق . ولم يخلق الخلق على مثال سبق » .

(١) كتاب الانتصار للخياط المعتزلى ج ٨ ص ١٠٧
(٢) الفتح ٤٨ آية ١٠
(٣) المائدة ٥ آية ٦٤
(٤) الرحمن ٢٥ آية ٢٧
(٥) طه ٢٠ آية ٥
(٦) تيماوس لأفلاطون .

ما يترتب على هذا التعريف :

تقول المنزلة بأن الله واحد ومتميز تمام التميز عن الخلق ، هو الأصل الوحيد الذي بمقتضاه يفرقون بين ما هو حق وما هو باطل في التوحيد ؛ ويعتبرون أنفسهم بأنهم هم فقط « أهل توحيد » . وعلى هذه الفكرة بنى المنزلة مسألة الخلق وهي مسألة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمبدأ نفي كل مشابهة بين ماهية الله وماهية العالم المخلوق . وبما أن هاتين الماهيتين مختلفتان ومتباينتان تماماً في عرف المنزلة قالوا إن الماهية المحدثة المخلوقة ليست حاصلة من الماهية القديمة ؛ لذلك قالوا بالعدم واعتبروه شيئاً وذاتاً وعيناً وحقيقة يمنحه الله الوجود ليصير كائناً[1]

مصدر هذه الفكرة :

إنا نجد في القرآن الكريم هذه الآية (ليس كمثله شيء)[2] وكذلك (لا تدركه الأبصار)[3] ولكن كم أيضاً من الآيات التي تتحدث عن أعضاء الله وعن الشبه بينه تعالى وبين الإنسان ؟

هل تكفي آية أو آيتان حتى تبني عليهما المنزلة هذا التعريف النفي لله ويصبح تعالى كائناً متميزاً تمام التميز عن خلقه ؟ لا شك في أن المنزلة استرشدت أيضاً بمصادر أخرى .

كان واصل بن عطاء متصلاً بالنصارى . ولكنه رأى في سر الثالوث الأقدس (وهو سر إله واحد في ثلاثة أقانيم) شركاً لله ؛ فأخذ برده بقوة حتى يصل إلى فكرة عن إله واحد في غاية البساطة ومميز تماماً عن خلقه . وابتداء من أبي الهذيل العلاف أخذت المنزلة تطالع كتب الفلاسفة اليونانيين التي ترجمت إلى السريانية والعربية في ذلك العهد . فكانت محاورة تيماوس لأفلاطون قد ترجمت إلى العربية[4] والله في عرف أفلاطون لا يكوّن العالم على صورته بل على صورة المثل الأزلية . فساعدت هذه الفكرة المنزلة على القول بأن العالم المخلوق لا يشبه الله الخالق أعني (في لغة المنزلة) المانح الوجود لماهيات مختلفة ومميزة عنه ؛ كما أنهم نفوا أن الله يخلق الخلق على مثال سبق .

ومن جهة أخرى يقول أرسطو إن الله ليس بالعلة الفاعلية للعالم وإنما العالم يجتهد بأن يحيي بقدر المستطاع حياة مماثلة لحياة الله، ولكنه لا يستطيع ذلك لسبب مادته ، فيقلد الحياة الإلهية بحركة مستمرة وأزلية وهي الحركة الدائرية (انظر ارسطو كتاب الطبيعة ص ٢٦٥ ب ١) التي هي العلة الغائية للعالم — فإذاً لا توجد أي مشابهة بين الله والعالم ، والله على رأي أرسطو لم يبدع ماهية العالم ولا وجوده ؛ إنما المنزلة مع نفيها كل مشابهة بين الله والخلق تقول إن الله منح الوجود فقط للعدم حتى صار كائناً .

وعندما أغلقت مدارس أثينا الفلسفية لجأ سمبلقيوس الفيلسوف إلى كسرى ملك الفرس وصديق الفلاسفة . وترك سمبلقيوس Simpliciws عدة شروح لنظريات أرسطو وكان أغلب المنزلة على صلة بالفرس حتى إن بعضهم كان من أصل فارسي مثل أبو علي الأسواري .

فهذه الترجمات العربية لكتب الفلاسفة اليونانيين التي قام بها السريانيون من جهة ، والترجمات التي قام بها الفرس من جهة أخرى ، ساعدت المنزلة على مطالعة الفكر اليوناني وقدمت لهم ما يلزمهم من براهين للدفاع عن التوحيد كما فهموه .

لكن هذا لا يعني أن المنزلة وجدت الأفكار التي تدافع عنها وقامت بها جاهزة كاملة — أن فضلهم لكبير ، لأنهم اقتبسوا من الفكر اليوناني ما رأوه مناسباً للرد على المشبهة ودفع كل شرك مفاخرين بأنهم « حماة التوحيد » .

* * *

نفي المنزلة لصفات الله تعالى لا يمنعهم من البحث في بعض الصفات على زعم أنها اعتبارات ذهنية فقط وليست حقائق تتصف بها الذات الإلهية .

وهذا ما سنتطرق إليه في مقالنا القادم إن شاء الله .

ألبير نصري نادر
دكتور في الآداب والفلسفة

(١) الشهرستاني : نهاية الإقدام ص ١٥١ الملل والنحل على هامش الفصل لابن حزم ج ١ ص ٨٥
ابن حزم ج ٤ ص ١٥٣ — البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٩٥
الاسفرائيني : التبصير في الدين ص ٣٧

(٢) الشورى ٤٢ آية ١١ (٣) الأنعام ٦ آية ١٠٣

(٤) ترجمة يحيى بن البطريق في عهد المأمون وراجع الترجمة حنين ابن إسحق (١٩٤ هـ إلى ٢٦٤ هـ) وطالع هذه الترجمة شيوخ المنزلة المتقدمون مثل أبو الهذيل العلاف وإبراهيم النظام الذي عرف حنين بن إسحق في بغداد .

من ظرفاء العصر العباسي :

أبو دلامة

توفي سنة ١٦١ هـ

للأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

« تتمة »

لا ريب أن شذوذ هذا الرجل قد بلغ أشده ، فعلى الرغم من كثرة ما كان يصل إلى يده من المال من الخلفاء والأمراء والأغنياء كنت لا ترى عليه إلا سيماء الفقر ، إذ لا يعنى بلبسه ، ولا يكترث بمظهره ، بل ربما بدا أمام الناس بثياب لا تليق إلا بالمتسولين : وقد رأى عليه أبو عبد الله العقيلي مرة فروة في الصيف ، فقال له : ألا تمل هذه الفروة ! قال : بلى ، ورب مملول لا يستطاع فراقه . فنزع العقيلي فاضل ثيابه في موضعه فدفعها إليه[1] .

وما كان ليعجز عن فراق فروته في الصيف على رغم مله منها وضجره مما تحمله من الحرارة لولا أنه كان يعيش عيشة المحتاجين ، وإن أعطى عطاء المترفين . لكنك عرفت أنه كان ينفق أكثر ما يأتيه من المال في شرب الخمر وإتيان الحرمات ، فلا غرابة إذا بدا أمام الناس بهذا المظهر الخشن البغيض !

ومع أن رداءة المظهر تسم صاحبها بالازدراء في أعين الناس — فإن لسان أبي دلامة كان من الطول والسلاطة بحيث يمنع الأذكياء من الاستخفاف بشأنه ، بل يدعوهم إلى الحذر منه والخوف من طعنه في أعراضهم :

أدلى أبو دلامة بشهادة لجارة له عند أبي ليلى[2] على أتان نازعها فيها رجل . فلما فرغ من الشهادة قال اسمع ما قلت فيك قبل أن آتيك ثم أمض ما شئت . قال : هات ؟ فأنشده :

إذا الناس غطوني تغطيت عنهم ... وإن بحثوا عني ففيهم مباحث
وإن حفروا بئري حفرت بئارهم ... ليعلم يوماً كيف تلك النبائث

ثم أقبل ابن أبي ليلى على المرأة فقال : أتبيعيني الأتان ؟ قالت : نعم . قال : بكم ؟ قالت : بمائة درهم . قال : ادفعوا إليها فعلوا . وأقبل على الرجل فقال : وهبتها لك . وقال لأبي دلامة : قد أمضيت شهادتك ولم أبحث عنك وابتعت ممن شهدت له ، ووهبت ملكي لمن رأيت . أرضيت ؟ قال : نعم . وانصرف[1]

وهكذا أمضى القاضي شهادته ولم يبحث عنه ولم يطلب تزكيته خوفاً من لسانه الفضاح الذي استبان بعض شره في بيتين من الشعر . وقد ترى — من هذا — أن أبا دلامة كان جريئاً لا يخاف أحداً . والحق أن هناك فرقاً عظيماً بين جرأة اللسان وثبات الجنان ، فقد كان هذا الظريف جباناً من الطراز الأول يكاد يخاف من ظله ولو خاف جميع الناس لسانه .

أهدي للمهدي فيل ، فرآه أبو دلامة فولى هارباً وقال :

يا قوم إني رأيت الفيل بعدكم ... لا بارك الله لي في رؤية الفيل
أبصرت قصراً له عين يقلبها ... فكدت أرمي بسلحي في سراويلي[2]

ورجل يخاف من رؤية الفيل — وهو الحيوان الأليف الذي لا يجزع من ركوبه الأطفال — جبان ما في ذلك ريب . وهو — لجبنه — كان يفر من مبارزة الرجال فراره من الأسود !

كان أبو دلامة مع أبي مسلم في بعض حروب مع بني أمية . فدعا رجل إلى البراز ، فقال له أبو مسلم : ابرز إليه . فأنشأ يقول :

ألا لا تلمني إن فررت فإنني ... أخاف على فخارتي إن تحطما
فلو أنني في السوق أبتاع مثلها ... وجدك ما باليت أن أتقدما

فضحك أبو مسلم وأعفاه[3] .

ولقد حدث أبو دلامة عن نفسه — وفي حديثه إثبات لجبنه وخوره — قال : أتي بي المنصور أو المهدي وأنا سكران فحلف

(١) الأغاني جـ ١٠ ص ٢٦٤

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى قاضي الكوفة . أول من استقضاه على الكوفة يوسف بن عمر الثقفي واستقضاه بعد ذلك بنو العباس

(١) الأغاني جـ ١٠ ص ٢٣٨ .

(٢) وقد روى البيتان في شذرات الذهب وتاريخ بغداد ولسان الميزان مع اختلاف يسير في اللفظ والقصة .

(٣) الأغاني جـ ١٠ ص ٢٦٨ .

ليخرجنى فى بعث حرب ، فأخرجنى مع روح بن حاتم المهلبى(١) لقتال الشراة(٢) . فلما التقى الجمعان قلت لروح : أما والله لو أن تحتى فرسك ومعى سلاحك لأثرت فى عدوك اليوم أثراً ترتضيه . فضحك وقال : والله العظيم لأدفعن ذلك إليك ، ولآخذنك بالوفاء بشرطك . ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما إلى ، ودعا بغيرهما فاستبدل به . فلما حصل ذلك فى يدى وزالت عنى حلاوة الطمع قلت له : أيها الأمير ، هـذا مقام العائذ بك ، وقد قلت بيتين فاسمعهما . قال : هات ، فأنشدته :

إنى استجرتك أن أقدم فى الوغى ... لتطاعن وتنـازل وضراب
فهب السيوف رأيتها مشهورة ... فتركتها ومضيت فى الهراب
ماذا تقول لما يجىء وما يرى ... من واردات الموت فى النشاب

فقال : دع عنك هذا وستعلم . وبرز رجل من الخوارج يدعو للمبارزة ، فقال : أخرج إليه يا أبا دلامـة . فقلت : أنشدك الله أيها الأمير فى دمى . قال : والله لتخرجن . فقلت : أيها الأمير فانه أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا ، وأنا والله جائع ما شبعت منى جارحة من الجوع ، فمر لى بشىء آكله ثم أخرج . فأمر لى برغيفين ودجاجة ، فأخذت ذلك وبرزت عن الصف . فلما رآنى الشارى أقبل نحوى عليه فرو وقد أصابه المطر فابتل ، وأصابته الشمس فاقفعل(٣) وعيناه تقدان ، فأسرع إلى . فقلت له : على رسلك يا هذا كما أنت ، فوقف . فقلت : أتقتل من لا يقاتلك ؟ قال : لا . قلت : أتقتل رجلاً على دينك ؟ قال : لا . قلت أفتستحل ذلك قبل أن تدعو من تقاتله إلى دينك ؟ قال : لا ، فاذهب عنى إلى لعنة الله : قلت لا أفعل أو تسمع منى . قال : قل . قلت : هل كانت بيننا قط عداوة أو ترة ، أو تعرفنى بحال تحفظك على ، أو تعلم بين أهلى وأهلك وتراً ؟ قال : لا والله. قلت : ولا أنا ، والله لا أحفظ لك إلا جميل الرأى ، وإنى لأهواك وأنتحل مذهبك وأدين دينك وأريد السوء لمن أراده لك . قال : يا هـذا جزاك الله خيراً فانصرف . قلت : إن معى زاداً أحب أن آكله معك وأحب مؤاكلتك لتتوكد المودة بيننا ، ويرى أهل العسكر هوانهم علينا . قال : فافعل . فتقدمت إليه حتى اختلف أعناق دوابنا وجمعنا أرجلنا على معارفها والناس قد غلبوا ضحكا . فلما استوفينا ودعنى . ثم قلت له : إن هذا الجاهل أن أقمت على طلب المبارزة ندبنى إليك فتتعبنى وتتعب ؛ فإن رأيت ألا تبرز اليوم فافعل . قال : قد فعلت . ثم انصرف وانصرفت . فقلت لروح : أما أنا فقد كفيتك قرنى ، فقل لغيرى أن يكفيك قرنه كما كفيتك ، فأمسك . وخرج آخر يدعو إلى البراز ، فقال لى : اخرج إليه ، فقلت :

إنى أعوذُ بروْح أنْ يُقدمنى ... إلى البراز فتخزى بى بنو أسَدِ
إن البراز إلى الأقران أعلمه ... مما يفرِّق بين الروح والجسد
قد حالفتك المنايا إذ صمدت لها ... وأصبحت لجميع الخلق بالرَّصَد
إن المهلب حبَّ الموت أورثكم ... وما ورثت اختيار الموت عن أحد
لو أن لى مهجة أخرى لجدت بها ... لـكنها خُلقت فرداً فلم أجُدِ

فضحك وأعفانى(١)

فأبو دلامة يعترف هنا بجبنه ، بل يصفه فيبدع فى وصفه ؛ وكأن به لا يجد فيه غضاضة ، أو يريد بذكر قصته ما يريده أمثاله من الظرفاء من إضحاك الناس ولو اتهموا أنفسهم بما لا يرضاه مخلوق لنفسه . والجبن خلق قديم فى طبع أبى دلامة ، فهو حتى فى أيام شبابه — والشباب زمن التهور والحماسة — كان لا يخجل من الفرار من الأقران . وإليك اعترافه بذلك فى هذه القصة :

كنت فى عسكر مروان(٢) أيام زحف إلى سِنانٍ الخارجى . فلما التقى الزحفان خرج منهم رجل فنادى : من يبارز ! فلم يخرج إليه أحد إلا أعجله ولم يُنهنِهْهُ(٣) فغاظ ذلك مروان وجعل يندب الناس على خمسمائة ، فقُتِل أصحاب الخمسمائة ، فزاد مروان وندبهم على ألف ، ولم يزل يزيدهم حتى بلغ خمسة آلاف درهم . وكان تحتى فرس لا أخاف خونه ؛ فلما سمعت بالخمسة آلاف(٤) ترقبته واقتحمت الصف .. فلما نظرنى الخارجى علم أنى خرجت للطمع ، فأقبل إلى متهيئاً وإذا عليه فرو قد أصابه المطر فابتل ، ثم أصابته الشمس فاقفعل ، وإذا عيناه تقدان كأنهما من غورهما فى وقبين . فلما دنا منى أنشأ يقول :

(١) هو روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة ، ولى أفريقية والبصرة وغيرهما ، وكان جليلا شجاعاً جواداً

(٢) الشراة : الخوارج (٣) واقفعل : تقبض

(١) الأغانى جـ ١٠ ص ٢٤٣ — وتجد الأبيات أيضاً فى معجم الأدباء جـ ١١ ص ١٦٧ — كما تجدها فى وفيات الأعيان لابن خلكان مع اختلاف يسير فى اللفظ واختصار فى القصة .

(٢) يعنى آخر خلفاء بنى أمية مروان بن محمد .

(٣) نهنهه : كفه وزجره . وسياق الكلام يقتضى أن يكون (ولم يمهله)

(٤) أشرنا من قبل إلى أن هذه لغة ضعيفة ، وأن الأفصح : (بخمسة الآلاف) .

وخارج أخرجه حبُّ الطمعْ   فرَّ من الموت وفى الموت وقع
من كان ينوى أهله فلا رجَعْ

فلما وقرت فى أذنى انصرفت عنه هارباً . وجعل مروان يقول : من هذا الفاضح ؟ ائتونى به ، فدخلت فى غمار الناس فنجوت[1] .

فهذه القصة التى يرويها أبو دلامة عن نفسه كانت فى أيام شبابه لأنه لم يجاوز عهد الشباب حتى أواخر الخلافة الأموية ، ففيها دليل أقوى على جبنه وخوفه . وقد تشم فيها رائحة الوضع لأنَّ فيها صيَغاً وأوصافاً تقارب ما فى القصة السابقة مع روح المهلبى ، حين صور الخارجى المبارز بأن « عليه فرواً قد أصابه المطر فابتل ، وأصابته الشمس فاقفعل ، وعيناه تقدان ... » الخ . ويمكننا القول بأن الحادثة قد تعددت على هذه الصورة مصادفة ، أو أن أبا دلامة أعجبته هذه الأوصاف التى صوَّر بها مبارزه فى المرة الأولى فأعادها فى وصف مبارزه الثانى ليبرر موقفه فى هربه أو فزعه من هذا المنظر الذى يملأ قلوب الجبناء رعباً .

ونحن — على كل حال — لا نريد أن ننفى كثيراً من أخبار أبى دلامة من ضعف الرواية ، فقد لاحظنا بعض التضارب فى قصصه ، إذ رأينا مثلاً أن الخيزران هى التى وعدته جارية فاستنجزها بشعر ، مع أننا نجد فى الأغانى (ص ٢٦٨ جـ ١٠) أن ريطة هى التى وعدته ، ورأينا أن أبا دلامة طلب من السفاح كلب صيد ثم تدرج فى الطلب إلى أشياء كثيرة ، مع أننا نجد الجاحظ يروى القصة على أنها فى زمن المنصور لا السفاح ، ورأينا أبا دلامة يداعب السفاح فيقطعه خمسمائة ألف جريب غامرة على حين أننا نجده فى موضع آخر قد أقطع أمثالها مازحاً للمنصور — وانتحلنا هناك لمنع التضارب علة لعلها غير مقبولة — لكن هذا كله لا يمنعنا من قبول أخبار أبى دلامة — على ما فيها من ضعف فى الرواية — لأننا نجزم بأن مثل هذا الظريف لا بد من الزيادة فى نوادره ، والمبالغة فى دعاباته . ومن المعروف أن الرجل إذا اشتهر بالظرف نسب إليه الناس كثيراً مما يستظرفون عمداً أو عفواً ؛ بل إن الظرفاء أنفسهم كثيراً ما يجدون رغبة فى اختلاق الروايات المعجبة وابتكار الأخبار المدهشة التى تدل على خيال خصيب ، وذكاء عجيب ، وتدل فى الوقت نفسه على ميل إلى إرضاء السامعين والظفر بإعجابهم ...

(١) الأغانى جـ ١٠ ص ٢٤٥

ومن هنا لن نعجب إذا وجدنا فى ترجمة أبى دلامة فى كتاب (شذرات الذهب) : « إنه مطعون فيه ، وليست له رواية » ولن نعجب إذا قال مثل ذلك الحافظ الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد والحافظ ابن حجر العسقلانى فى (لسان الميزان) .

وهكذا شابه أبو دلامة أبا العيناء الذى سبق أن كتبنا عنه فى الرسالة[1] فى الطعن فى روايته وعدم الثقة بأخباره . والفرق بين الظريفين من هذه الناحية أن أبا العيناء كان أحياناً ما يروى السنة فكان ضرورياً أن يطيل الحفاظ فى بيان ضعفه تحذيراً منه بينما اكتفى أبو دلامة برواية أخباره ووصف نوادره التى تضحك الثكلى .

هذا هو الفرق بينهما من ناحية الرواية ، وأما من حيث الشخصية فإننا نرى أن قد كان لأبى العيناء نوع من الفلسفة الخاصة فى هذه الحياة ، فقد كان معتزاً بنفسه إلى أبعد الحدود ، يرى أن الله قد عوضه عن عماه لساناً سليطاً وشعراً متيناً وذكاء نادراً ، بينما نرى أن أبا دلامة كان يعيش على هامش الحياة عيشة لاهية ، فكثيراً ما كان يحقر نفسه ويذل كرامته ليضحك سواء رغباً فى عرض أدنى يناله . ثم إن أبا العيناء كان ينتقد مجمه ويتهكم بأهل زمنه تهكماً يدل على أن الألم كان يعصر قلبه على حين كان أبو دلامة لا ينتقد عيباً ولا يكاد يتألم من شىء ، وإنما كان يعيش عيشة فردية همه فيها إرضاء شهواته ، وبلوغ مآربه .

ولا شك أن رقة الدين ورداءة المذهب وارتكاب المحارم وتضييع الفروض والمجاهرة بالإثم — من الأوصاف التى توشك أن تجعل من الظريفين شخصاً واحداً لشدة التشابه بينهما فيها .

ولا ينتظر الناس من ظريف يضحكهم أن يكون ملاكا أو قديساً ، فإذا كان بعض القدامى قد صرح بأن (أعذب الشعر أكذبه) فإن كثيراً من المحدثين لا يحجزهم أن يزيدوا على ذلك (وأعذب الدعابة أكثرها فضحاً من المستور ، وكشفاً للمحجوب) .

والظريف فى أبى دلامة — وما رأيت فيه إلا ظريفاً — أنه عاش حياته كلها ضاحك السن لا يتألم ولا يبكى ، ثم مات سنة إحدى وستين ومائة وهو ما زال ضاحكا لا يتألم ولا يبكى !

فهل كتب الظريف عهداً على نفسه ليضحكن مدى الحياة ؟ لعله فعل ... فما أكثر شذوذ الظرفاء !

صبحى إبراهيم الصالح

(١) الأعداد ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ من الرسالة .

أساليب التفكير :

فلسفة الشعب

للأستاذ عبد المنعم المليجى

— ٢ —

يقول حكيم الشعب : « اعمل خيراً وارمه فى البحر » . فما ذا يملى عليه هذا القول ؟ إنه يرى فناء كل حى ، وزوال كل نعمة ، وضياع كل مجد ؛ ويرى إلى ذلك أن ذكرى العمل الصالح تبقى حية فى الأذهان والقلوب والضمائر ، وأن لفعل الخير حلاوة تجعل منه غاية جديرة بأن تُطلب لذاتها وكفيلة وحدها أن تحقق السعادة فى نظره ليست فى جاه نهلنه ، أو صيت نذيعه ، أو مال نصيبه ، إنما هو فى راحة الضمير وهدوء النفس ، ولا سبيل إلى ذلك بغير سلامة النية وصفاء الطوية وهما لا يتفقان مع طلب الخير لغير الخير . إعمل خيراً وألق به فى البحر ، وترقب السعادة بعد ذلك تأتك طوعاً من حيث لا تدرى ولا تحتسب .

أيختلف هذا الاتجاه المثالى فى شىء عن اتجاه الشاعر الفيلسوف « جوته » فى قصة « فاوست » ؟ . لقد جاهد فاوست جهاداً طويلاً مريراً دون أن يظفر بشىء ، ولكن حياته لم تضع هدراً إذ رفعه المؤلف إلى جنات ربه ، وما ذلك إلا لأنه قد أحس بالحق والخير والجمال فجاهد فى سبيلها وكان فى جهاده هذا خلاصه. ثم إن معنى تلك الحياة والأثر الذى خلفته خطى فاوست على صفحات الزمن هو أنه علينا أن ندأب ما استطعنا فى سبيل المثل العليا ، وسيان بعد ذلك أأصبنا نجاحاً أم إخفاقاً ، فالجهاد نبل فى ذاته »[1] . ذلك هو الاتجاه الفلسفى الذى تنطوى عليه قصة فاوست وهو نفسه الاتجاه الذى تنطوى عليه عبارة حكيم الشعب « اعمل خيراً وألق به فى البحر » . أى هدوء تحس به النفوس الخيرة إذ تتمثل هذا الدرس فتغالب بقوته السحرية تيار الجشع والاستهتار . حقاً إن الفلسفة الشعبية الساذجة لتساهم مع الفن والدين فى التخفيف من أعباء الحياة .

وبعد ، أليس ما ذهب إليه الشعب فى حكمته أو « جوته » فى قصته ، من اعتبار الخير غاية تُقصد لذاتها ، هو فى جوهره عين ما ذهب إليه الفيلسوف الألمانى العظيم « عمانوئيل كنط » فى مذهبه الأخلاقى الذى يرى أن الخير الأسمى الذى يتعين علينا أن نخضع له هو « الواجب » المجرد الذى يمليه علينا « أمر مطلق » يصدر من تلك القوة الذاتية الخفيفة التى ندعوها « الضمير » ، تلك القوة التى تعتبر صورة الله فى نفوسنا ، فالله فى الأبدية والضمير فى أعماق النفس البشرية ؟ إن السعادة فى نظر كنط إنما هى فى الخضوع للأمر المطلق الصادر من الضمير ، والعمل للواجب لذاته وأمر يتفق تماماً مع ما ذهب إليه كل من جوته والحكيم الشعبى ...

ويعرض أرسطو لنفس المسألة فيحصر الخيرات فى ثلاثة : إما اللذة ، وإما المجد ، وإما الحكمة . ويُعمل عقله أيها يختار على اعتبار أنه الخير الأسمى ؟ فيرى اللذة شعوراً نفسياً يصاحب فعلا من الأفعال أو وظيفة من الوظائف ، وعليه فلا يمكن أن تكون غاية فى ذاتها ؛ وإنما هى عرض يزول بانتهاء الفعل أو الوظيفة ، ويرى المجد لمال نصيبه ، أو شهوة ننالها ، أو تكريم نحصل عليه ، فليس المجد هو الغاية القصوى ، إنما الغاية المال أو الشهرة أو التكريم. وهكذا تنتهى فلسفة أرسطو الأخلاقية إلى اعتبار الحكمة هى الخير الأسمى الذى ينبغى أن نطلبه ونعمل وفقاً له ، وما الحكمة إلا تغلب قوى العقل على قوى الحس ، وتفضيل السعادة الدائمة على اللذات المؤقتة ، ونشدان الاتزان النفسى وراحة الضمير — وهل لأحدهما أو كليهما أن يتحقق ما لم « نفعل الخير ونلقه فى البحر » كما يفعل الحكيم الشعبى ، وما لم « ندأب ما استطعنا فى سبيل المثل العليا » كما فعل « فاوست » ، وما لم نصغ لصوت الضمير الكامن فى أعماق نفوسنا شأن « عمانوئيل كنط » ؟!

فهم السعادة :

حلا للأستاذ الزيات أن يسأل قروية ساذجة : « كيف ترضى بالحياة وهى فقيرة ، وتبسم للدنيا وهى منهوكة » ؟ فأجابت : « الماء فى الكوز والعيش مخبوز » . ثم مضى أستاذنا يحاورها

---

(١) نماذج بشرية تأليف الدكتور محمد مندور .

حتى ينتزع من فمها درساً غالياً فى فن السعادة . قالت أم عامر :

« نشـأتُ كما تنشأ القرويات الفقيرات ، على التلول كالدجاج وأنا طفلة ، وبين الحقول كالذئاب وأنا صـبية ؛ آكل العشب وأستمرئه ، وأشرب الكدر وأستسيغه ، وألبس الخشن وأستلينه، وأفترش المدر وأستوطئه ، وأعالج الصعب وأستسهله . والذى أحلى المر فى فمى ، وجمّل القبيح فى عينى ، وألان الغليظ لجانبى : صحة كصحة الظبى الشادن لم تجنح يوماً لراحة ، ولم تحتج يوماً إلى دواء؛ ومرانة على عنف الطبيعة لا تفرق طاقتها بين صبح ومساء، ولا بين صيف وشتاء ؛ ونفس راضية تقنع بميسور العيش وتخضع لمكتوب القضاء ... »[1] .

لقد استطاعت صاحبتنا بجهد ذاتى أن تنتصر على أقسى ظروف الحياة وتنعم بالرضا والهدوء ، ذلك أنها « مرنت على عنف الطبيعة ، وقنعت بميسور العيش ، وخضعت لمكتوب القضاء . » هى إذن ببصيرة نافذة وعلكة الحكم السليم ترى السعادة أمراً شخصياً وليس رهناً بالظروف الخارجية ؛ هى شأن من شئون الذات بمقدور كل إنسان أن يحققها على رغم قسوة الظروف الخارجية .

تلك فلسفة نستشفها من ثنايا العبارات الصادقة على سذاجتها يفوه بها نفر من البسطاء وهى لا تفترق فى جوهرها عن فلسفة الرواقيين التى سادت الفكر اليونانى فى القرن الرابع قبل الميلاد وسيطرت على العقلية الرومانية بعد ذلك ، وكان لها أثر فعال فى الفلسفة المسيحية ، وتقترب هذه الفلسفة من الفلسفة البوذية . عرض لجميع هؤلاء سؤال واحد : « كيف السبيل إلى السعادة رغم قساوة الظروف الخارجية ، وهل يمكن بلوغها مع ذلك ؟ » واتفق الجميع على إمكان الوصول إلى السعادة رغم قساوة الظروف ورسموا طريقاً واحدة ، وجاء تعريفهم للسعادة واحداً فى معناه رغم اختلاف الألفاظ . فقالت أم عامر : هى « مرانة على عنف الطبيعة ونفس راضية تقنع بميسور العيش وتخضع لمكتوب القضاء . » وقال الرواق : هى أن تمتلك نفسك امتلاكا حراً ، وتتحرر النفس من قيود الظروف الخارجية ، وتخضع إرادتك الجزئية لإرادة الكون الكلية ، تلك الإرادة الكلية الخيرة المنبثة فى أرجاء الكون جميعاً . » وقال البوذى : « هى أن تعرف كل شىء ، وتفهم كل شىء . تنطلق من عبء الحدث وعبء الوجود ، لا تشعر بأية حاجة ، تسافر منفرداً لا يمنيك اللوم ولا المديح ، تقود الغير ولا يقودك أحد .

دعوة مخلصة :

قد يعجب البعض كيف أقارن بين الحكمة الشعبية وبين المذاهب الفلسفية الكبرى ، وقد يرى بعض المهتمين بالدراسات الفلسفية من القحة والتهجم على قدسية الفلسفة أن أحاول التقريب فى مجال الأخلاق بين الحكمة الشعبية وبين المذاهب الفلسفية الكبرى . فلهؤلاء أؤكد أن بذور التفكير الفلسفى مغروسة فى جميع العقول تقضى عليها لدى البعض ظروف معينة ، وتنميها لدى آخرين ظروف مواتية . ليست الفلسفة ركاماً من المعارف المختزنة، إنما هى اتجاه فكرى ، إحساس بمشكلة تعترض الذهن وتأملها تأملا حراً بغية الاهتداء إلى سرها عن طريق العقل والمنطق . وإذا فهمت الفلسفة على هذا النحو قرّ فى نفوسنا أن الواجب يقضى علينا أن نتعمق حياة العامة ونغوص على حكمهم السائرة ، ونجيل البصر فى كتب الشعراء والأدباء ، لنبرز بدايات التفكير الفلسفى . ويقضى علينا أيضاً أن نكشف عن بساطة المذاهب الفلسفية وكيف أنها تنبع على نحو طبيعى من نفس المنابع التى تنبع منها الحكم الشعبية مع فرق فى درجة الإتقان والتوفيق . حينئذ يتحقق الوئام بين الحكمة الشعبية والفلسفة المذهبية رفعنا من مقام الأولى وردنا الحياة إلى الثانية ، وتندمج عقول العامة وعقول العباقرة فى وحدة فكرية نبيلة لا تنفصم عراها .

تلك رسالتى أدعو إليها بكل ما أوتيت من قوة ، وأجهد فى سبيلها حتى تتلاشى الحواجز الصناعية التى يقيمها نفر من المثقفين . وأؤكد لهؤلاء أن أعقد المذاهب الفلسفية لا يفهم بفهم الألفاظ التى تنقله إلينا ، ولكن تفهم المذهب عند ما تلبس المشكلة التى اعترضت ذهن صاحبه وتتمثل الكفاح الفكرى الذى قام به حتى توسّل إلى حل المشكلة وتفسيرها بمذهبه ، أى عند ما تعيش اللحظات الفكرية التى عاشها حينئذ تكتشف أن المشكلة ذاتها قد تعترض أى ذهن ، حتى ليمكننا فى أحوال كثيرة أن نوفق فى

(١) « قروية فيلسوفة » مقالان للأستاذ الزيات بالعددين ٨١٣ ، ٨١٤ من الرسالة .

٢٢ • ٣٣

رد بعض المذاهب الكبرى إلى أصول فى الحكمة الشعبية . إن الفلسفة حركة فكرية طبيعية قبل أن تكون معرضاً لفظياً لمصطلحات مبتسرة ، وهى بهذا المعنى بسيطة كما رآها ديكارت وغير واحد من فلاسفة الفرنسيين .

وفيما أنا مشغول بالتفكير فى هذه المحاولة ، أقرأ رسالة صغيرة أهداها إلينا أستاذنا الدكتور عثمان أمين [١] يحلل فيها خصائص العقلية الفرنسية ، إذا بى أجد ما يؤيد محاولتى . وكم كان سرورى عظيماً عند ما بلغت قوله : « ليست عبقرية الفلاسفة والمفكرين الفرنسيين إلا كمال ذلك المعنى الذى نجده متجلياً عند فلاحى فرنسا ملموساً فى أعمالهم اليومية . » [٢] وعند ما ردد مع « برجسون » « ليس هنالك فكرة فلسفية مهما يكن حظها من العمق والدقة إلا ويستطاع — بل يحسن — التعبير عنها بلغة الناس المتداولة البسيطة . » ومع « بوالو » :

« إن ما أجد تصوره استطعنا أن نعبر عنه تعبيراً واضحاً ، وجاءتنا الألفاظ عنه طائعة مختارة . » وعند ما علق على قولى برجسون وبوالو بعبارة ساخرة تحفزنى إلى المضى فى طريقى وتعتبر خير سند لفكرة التقريب بين عقول الفلاسفة وعقول المستنيرين من البشر : « ليست كل المياه الملونة بالطين مياهاً عميقة ، ولا كل المياه الصافية مياهاً سطحية » . (٣)

لست إذن أدعو إلى المستحيل ، ولا أنا أطلب بدعاً ، فالفلاسفة الفرنسيون أنفسهم مهدوا السبيل أمامنا فلم يشحنوا مؤلفاتهم بتلك المصطلحات الفنية التى تعتبر ستاراً صفيقاً يحول بين الكثيرين وبين فهمها ، بل عرضوا أفكارهم فى بساطة ووضوح ، ولم يعمدوا إلى غموض هو كما قال برجسون : « فى منزلة القناع يلقيه المؤلف على فكر لم يوفق بعد إلى أن يستبين ذاته تمام الاستبانة . » وتوجهوا بفلسفتهم إلى الجمهور كله بل إلى الإنسانية جمعاء ؛ ذلك أن الفلسفة فى رأيهم حق للبشر جميعاً ، وليست امتيازاً لطبقة على أخرى . وعلىّ بيان ذلك فى العدد القادم إن شاء الله .

(الاسكندرية) عبد المنعم المليجى

(١) خصائص الروح الفرنسى
(٢) صفحة ١٦
(٣) صفحة ١٩

دخـــان ولهب

للأستاذ إبراهيم الوائلى

لا تخلها — وهى تذكو شعلاً — بنت كرم إنها كانت ضراما
كلما أفرغتها فى كبدى غادرتها بين أضلاعى حطاما

قد عصرت الروح فى الكأس ومن
قلبى المشبوب ذوبت الحبب

وحبست اللحن فى صدرى أسى فإذا اللحن دخان ولهب
وتراميت على وقد الجوى مثلما يلقى على النار الحطب

أترانى — ولقد ودعت أمسى
ودفنت اللحن فى ظلمة يأسى —
أبعث الأنغام أو تعذب كأسى ؟

لا وعينيك فما تجرى سوى قطرات لم تكن إلا ضراما
وغنائى لم يكن إلا صدى لرنين صيّر القلب حطاما

يا حبيبى إنّ لحناً ضجّ فى شفتى بالأمس قد عاد خيالا
وربيعاً كان مفتان الرؤى لا أرى منه على السفح ظلالا
وغديراً كم بشذاه الهوى كفنته الريح شوكاً ورمالا

أترانى — ولقد بات نشيدى
همسة ترقد فى الماضى البعيد
أحتسى الخمرَ على رنة عودى

لا وعينيك فما لحنى سوى قطع ينفثها الصدر ضراما
وشعاع الكأس ما كان سوى لهب قد صيّر القلبَ حطاما

إيه يا أيامى اللائى مضتْ وتلاشتْ فى زوايا الأبد
هل يعود اللحن مرنان الصدى ويمسُّ القدح العذب يدى ؟
كلما قلتُ : ستخبو جذوة أيقظتها أختها فى كبدى

آه ما كأسى ، ما عودى وفنّى
غير أحلام توارتْ خلف دجن
يا حبيبى لا تسلنى أين لحنى ؟

إنّ أنغامى فى ليل الأسى لم تكنْ إلا دُخاناً وضراما
وبقايا الكأس ما كانت سوى حرق صيّرتِ القلبَ حطاما

ابراهيم الوائلى

غب النـــوى ...

الآنسة الفاضلة (المطوقة)

مضيتَ ؟ إلى أين ؟ هلاَّ تعود إلىَّ ، إلى روحىَ اللاغبِ
حنانك ، ضقتُ ، وضاقت حياتى
بهـذا الصدى المحرق اللاهب
بأشواق العاتيات تزلزل صـدرىَ فى عنفها الصاخب
حنانك ، قلبي يذوب وراءك ، أواه من قلبي الذائب
تلفَّتْ ، وراعِ بقاياه تذوى وتفنى مع الأمـل الغارب

مضيتَ ؟ وكيف ؟ ألا رجعة ترد إلى القلب دنيا رؤاه ؟
لقد اقفر الكون فى ناظرىَّ وغشى الظلام مجالى ضياه
وكيف أحس جمالَ الوجود ووجهك عنى توارى سناه
فما أقبح العيش يا موحشى ويا ما أشد سـواد الحياه
وأنت بعيد بعيد هناك ... وقلبى وحيد يعانى أساه

مضيتَ ؟ فيا لحنينى إليك وواهاً لأمسى القريب البعيدِ
زمان أمرِ بدرب الكروم وللدرب نفح جنانِ الخلود
ويشرد طرفى ويطوى المدى ولقياك غاية طرفى الشرود
وفى القلب نار جموح الوقود ينادى بها الشوق : يا نار زيدى
وطرفى قرير بذاك الشرود وقلبى سعيد بذاك الوقود

ويفجأنى وقع خطو بعيد ورائىَ ، أصغى إليـه طويلا
ويهتف قلبىَ : هـذى خطاه أرى فى صداها عليه دليلا
خطى المنفوان،خطى الكبرياء تنم عليـه عظيماً نبيلا
وتختطف الروحَ غيبوبةٌ وقد رحتَ تدنو قليلاً قليلا
وأغرق فى حلم ساحرٍ أحال حيـاتى فناً جميلا

وفى غمرات الذهول العميق تطالعنى القامـة الفارعه
فأشخص ، ثم أغضّ حياء واكسر من لحظى الجائعه
وأبدى جمودَ الخلىّ كأن لم ترج دنى الطلعة الرائعه
وتحت جمودى اضطراب عصوف أداريه مغضيةً وادعه
وتحت جمودى من العاطفات أعاصير جارفة دافعه

وتنهب عيناك وجهى وقد عرا مهجتي منهما ما عرا
فيمحى بعينىَّ كل الوجود ويمحى بعينىَّ كلُّ الورى
وما لفتة النسر يا فتنتى تطلع من عاليات الذُّرى
وسلط لحظاً على إلفِـهِ عنيفَ التوقد ، مستكبرا
بأروع منك وعيناك فىَّ أوارٌ تلظى وسحر سري

وتمضى ، وأمضى مع العابرين وما بيننا غير نجوى النظر
وطيف ابتسام على شفتيك ووهجٌ هيام بعمق استعر
وقد هبط الليل حلوَ الغموض خلوبَ الرؤى،عبقرىَّ الصور
وماجت مع الريح خضر الكروم مشعشعةً بضياء القمر
وفاض الوجود شعوراً وشعراً وذاب من الوجد حتى الحجر !

سل الدرب كم جئت غبَّ النوى
أجرُّ الخطى فى الغروب الحزينْ
وحولى من الذكريات الخوالى طيوف تثير لهيب الحنين
أخاف تكرُّ عليهـا الليالى وتدفن تحت ركام السنين
فيبسط قلبي جناحىْ هواه عليها ويحنو حنوَّ الضنين
وأنت بأعماق روحى صلاة يسبح باسمك روحى الأمين

مضيت ؟ إلى أين ؟ هلاَّ تعود لروحى اللهيف ، لقلبي الغريب ؟
توحدتُ بعـدك يا موحشى
على الدرب ، درب الكروم الجدىب
أسير إلى غير ما غاية وكفى على جرح قلبي الخضيب
وفى مقلتىَّ غـيوم حزانى وفوق جبينى وجوم كئيب
وسمتك فى خاطرى ماثل يهيج الحنين ويذكى اللهيب

إلى أين؟ رحماك يا ابن الصحارى وبرد ظماء الفؤاد العميدْ
فما برمال عطاشى تمَتَّك كهذا الغليل الملح العتيد
إلى أين ؟ يا لك طيفاً ألمَّ وعانق روحي بحلم سعيد
ويا لك وهمَ سراب تألق فى قفر عمرى لقلبي الشريد
حنانك ، عد ، كيف أحيا الحياةَ
وأنت هنـاك بعيد ، بعيد

(المطوقة)

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

«تحت المبضع» للأديب السورى محمد روحى فيصل :

كتاب فى بضع وثمانين صفحة ، ولكنه يقدم صاحبه خير تقديم . يقدمه فى معرض النقد الأدبى حين يكون للذوق المرهف أثره الملحوظ فى اللمحة الفنية التى تغنى عن لمحات ، وفى اللمعة الفكرية التى تهدى إلى لمعات ... أما الكتاب ، فهو «تحت المبضع» ، وأما الكاتب فهو الأستاذ محمد روحى فيصل رئيس [illegible] فى «حمص» .

وبعد كلمات يجب أن تقال قبل أن أقدم للأستاذ روحى فيصل خالص الشكر على هديته ، وقبل أن أضع مبضعه تحت المبضع ، فأتفق معه حينا ، وأختلف معه حينا آخر ... ولا بأس أبداً من أن نلتقى حينا لنفترق هناك ، ما دامت السطور الأولى من هذه الكلمة النقدية تحمل إلى القراء حكما صادقاً وأخيراً على شخصية الكاتب وما كتب !

وفى الكتاب فصول أفردت لنقد الشعر والنثر ممثلين فى مهرجان أبى العلاء ... ومرة أخرى نعود إلى فيلسوف المعرة لننظر فيما قاله الأستاذ روحى فيصل عن هؤلاء الذين اشتركوا فى إحياء ذكراه ، وبخاصة تلك النخبة من الشعراء أمثال الأساتذة : عمر أبى ريشة ، وبدوى الجبل ، وشفيق جبرى ، ومحمد البزم ، ومهدى الجواهرى ... شعراء خمسة تقدم كل منهم إلى المهرجان بأبيات من الشعر تفاوتت فى سبحات الخيال ورفات الجناح ، وكاتب يقف منهم جميعاً موقف العارض فى أمانة ، المحلل فى أناة ، الناقد فى ثقة واحتشاد .

أول شىء أود أن أشير إليه هو تلك الكوى الفكرية التى أطلت منها رءوس الشعراء والناثرين لتنفذ إلى أغوار الشخصية العلائية ... بما ذا خرجت تلك الرءوس من ذلك الفكر المسجى على فراش الأجيال والعصور ؟ ! أكاد أقول لا شىء ! ... لا شىء غير تلك القصة المكرورة التى ترويها كتب القدامى والمحدثين ، ولا شىء غير ذلك «القلم» الذى تمرض مناظره على «شاشة» الشعر والنثر دون أن تتجدد الزوايا العديدة فى الصور النفسية ، وكأن أبا العلاء على كثرة «المخرجين» و «المصورين» نسخة واحدة أبرز فصولها مخرج واحد ، والتقط مشاهدها مصور واحد ، وكأنى كنت أمد عينى إلى مهرجان أبى العلاء ، وأرهف سمعى إلى ما يقال عنه يوم أن قلت فى عدد مضى من «الرسالة» : «لو قال الباحثون عن أبى العلاء إنه إنسان قلق لعبروا عن الواقع أدق التعبير ، ولأحاطوا بكل جانب من جوانب شخصيته بهذه الكلمة الواحدة ، ولكنهم ركزوا كل عنايتهم فى جانب واحد انتهوا منه إلى حكم عام ما لبث أن استقر فى الأذهان ، واطمأنت إليه النفوس ؛ هذا الحكم العام محوره «التشاؤم» فى شخصية الرجل وفى فلسفته على حد سواء ! ... من الخطأ فى رأيى أن ينسب الباحثون أبا العلاء إلى نزعة نفسية بعينها ليتفرد بها وليقف عندها لا يكاد يتعداها إلى غيرها من النزعات ؛ ذلك لأن أبا العلاء قد مال إلى التفاؤل كما مال إلى التشاؤم ، ونصح بالإقبال على الحياة كما نصح بالإعراض عن الحياة ، وآمن بالبعث كما أنكر إيمانه بهذا البعث ، وأوصى بالزهد فى نعيم الدنيا كما أوصى بالإغراق فى هذا النعيم ، ونادى بفكرة الزواج والنسل ، كما نادى بنبذ هذه الفكرة مقدماً من نفسه مثالاً لهذا الحرمان ! ... أبو العلاء إذن لم تكن له «لافتة» واحدة «يعلن» فيها عن رأى واحد تتميز به شخصيته الفلسفية والإنسانية ، ولكنه كان أشبه بالتاجر الذى يعلن كل يوم عن «صنف» جديد من أصناف «بضاعته» عقب وروده بلحظات ؛ وكل تلك السطور المتناقضة يمكنك أن تضمها تحت عنوان كبير مكون من كلمة واحدة هى : القلق» !

ولقد فسرت هذا القلق على ضوء علم النفس الأدبى تفسيراً جديداً ، حيث قلت بعد كلام طويل فى هذا المجال : «الفراغ فى حياة أبى العلاء ، ولا شىء غير الفراغ ، وعلى هديه نلتمس العلة الأصيلة لتلك الذبذبة النفسية ممثلة فى هذه الذبذبة الفكرية ... ولنا بعد ذلك أن نسأل : أى لون من ألوان الفراغ كان يشكو أبو العلاء ؟ إنها ثلاثة ألوان : فراغ النفس ، وفراغ القلب ، وفراغ الجسد ... ولك أن تردها جميعاً إلى الحرمان ، فنفس

أبي العلاء كانت تشكو الحرمان من العطف ، وقلب أبي العلاء كان يشكو الحرمان من العاطفة ، وجسد أبي العلاء كان يشكو الحرمان من المرأة ... وقف طويلا عند هـذا الحرمان الأخير ، فهو مصدر الحرمان كله ، ومركز الفراغ كله ، وعلة هذا القلق الذي وجه أبا العلاء ألف وجهة ، وحيره بين ألف رأى وعقيدة ، وقذف بعقله إلى ألف درب من دروب الفكر ، حيث يتجلى التناقض والتضارب والاختلاف ! هذا الجدب العاطفي في القلب الإنساني ، وهذا الكبت الطويل المنيف للنزعة الجنسية ، هما في رأيي — ولا شيء غيرهما — مركبا النقص الخطيران في شخصية أبي العلاء ، ولا حاجة بنا إلى الحديث عن مركب النقص وأثره في توجيه العقول والأفكار » ! !

قلت هـذا بعد أن تعرضت لآراء الباحثين ممن وقفوا عند الآفة الجسمية في حياة أبي العلاء مفسرين على ضوئها معالم الاضطراب في نظراته وآرائه ... فليرجع القراء إلى ما قلت ، لأن تلك السطور التي نقلتها هنا لا تغنيهم عن البحث كاملا مترابط الفصول ، متماسك الأجزاء ، مسلسل النقلات ، بين النتائج والمقدمات ... قلته بالأمس ، وأعود اليوم فأذكر به ، لأن الأستاذ روحي فيصل يتفق معي في أن خطباء المهرجان لم يأتوا بجديد حين يقول في مقدمة كتابه : « فأما إن أبا العلاء المعري نفسه قد استبان لنا على غير ما كنا نعرف من صورته ، فذلك لا يقوله أديب له شيء من مشاركة في فهم الأدب على العموم ، وفي فهم الأدب العربي على الخصوص . فما شع من هذا المهرجان الذي انقضى ضوء نظرية جديدة من شأنها أن تنير ناحية من أبي العلاء كانت مجهولة أو مظلمة ، ولا انبثق عرض شامل ينظم هذا الرجل الكبير في شتى مجاليه » !

وأقف هنا وقفة قصيرة لأهمس في أذن الأستاذ فيصل قائلاً له : لقد كنت أرجو ألا يكون ناقداً فحسب ، وإنما كنت أرجو أن يكون ناقداً وباحثاً في وقت معاً ... أعني أنني كنت أود ، وقد أشار إلى هـذا الاجترار الممل فيما قيل عن أبي العلاء ، أن يحاول هو من جانبه أن يضع شخصية الرجل تحت المبضع عسى أن يخرج من دراسته بنظرات جديدة . ولكن الأستاذ فيصل قد ترك أبا العلاء إلى هؤلاء الذين تحدثوا عنه من الكتاب والشعراء ، مقتصراً على الإشارة العابرة إلى كلمات الفريق الأول ، والنقد المفصل لقصائد الفريق الأخير !

وأنتقل بعد هذه اللفتة إلى الفصول النقدية الخمسة التي أفردها الأستاذ فيصل لشعر أبي ريشه والجبل وجبري والبزم والجواهري .

في تلك الفصول لمسات تنبئ في الكثير الغالب عن سلامة التقويم ، ونزاهة التقدير ، وعرض موفق للشخصية الأدبية على مدار الحقل الشعري واتساع مداه ... هناك حيث تبحث عن معدن الملكة الناقدة فيشع في اللمحة الفنية التي تغني — كما قلت لك — عن لمحات ، وفي اللمعة الفكرية التي تهدي إلى لمعات ... انظر مثلا إلى هذين البيتين من قصيدة بدوي الجبل حول مشكلة الآفة الجسمية في حياة أبي العلاء ، واحكم — بعد ذلك — على الذوق الأدبي عند روحي فيصل :

من راح يحمل في جوانحه الضحى ... هانت عليه أشعة المصباح
وجلا المصون من الضمائر فانتهى ... همس النفوس لضجة وصياح

« فاقرأ هذين البيتين كما قرأتهما أنا ، وأعد تلاوتهما على نفسك ، وانفذ إلى مطاويهما ، وتذوق حلاوتهما ، فستجد أنك حيال لون من الشعر المجنح الجميل طالما رغبنا في مثله ، وطالما حرصنا على أن يسحب الشعراء على ذيله . وسترى عمل البيان في الخروج بخوالج النفس إلى دنيا النور أو دنيا الضجة والصياح كما يقول البدوي . وإنما يعجبني البيت الأول لأن صورة « الضحى بين الجوانح » من أرق الصور وأدناها إلى الخيال وأعلقها بالجمال ... ويعجبني البيت الثاني لأن كناية « الضجة والصياح » من أروع الكنايات في الدلالة على الكشف والإعراب » .

هنا ذوق رائع في فهم الشعر ورفع الغطاء عن أسرار مراميه ، ولكنني أختلف مع صاحبه حين يزن هـذا البيت بميزان الأداء اللفظي في الوقت الذي أنادي فيه بإقامة الميزان للأداء النفسي في الشعر العربي الحديث ... يقول بدوي الجبل في مجال الحديث عن موقع المرأة من شعور أبي العلاء :

يا ظالم التفاح في وجناتها ... لو ذقت بعض شمائل التفاح !

ويقول روحي فيصل في مجال التحليل والنقد : « فهنا عتاب ناعم يوجهه الشاعر لأبي العلاء فيما تجنى على المرأة من نقد ، وهنا إغراء جميل على محاسن الأنوثة ، وهنا فوق ذلك ، ألفاظ خفاف

ومسرى حلو، ونغم لطيف، وشعور — على أنه سطحي وابتدائي وجماهيري — لا يخلو من شيء من الإحساس بفتنة المرأة وسحر الجمال » .

معذرة إذا قلت للأستاذ فيصل : إن هذا الشعور الذي يصفه بأنه سطحي وابتدائي وجماهيري، هو وحده الذي أكسب بيت بدوي الجبل ذلك الأداء النفسي الذي أدعو الشعراء إلى أن يطرقوا أبوابه ... إن كلمة « لو ذقت » هي التي أوحت إلى الأستاذ فيصل بهذا الوصف، ولكنه لو نظر إلى الظلال الفنية التي أسكنها الشاعر بناء التعبير ممثلة في تلك الكلمة، لتكشف له عمق الحركة النفسية في ذلك الصدق الشعوري المنبعث من بساطة الأداء.

ولقد كنت أود أن أطيل القول في مشكلة الأداء النفسي في الشعر، لولا أن هناك بحثاً يدور حول هذا الموضوع في انتظار العرض على صفحات « الرسالة » في الأيام المقبلة .

ويبدو لك من كتاب الأستاذ روحي فيصل أنه يفضل قصيدة عمر أبي ريشه على غيرها من الشعر الذي ألقي في المهرجان ... وهنا أختلف معه مرة أخرى ما دام هو يضع الشعر أحياناً تحت مجهر الحركة اللفظية، ومادمت أنا أضعه أبداً تحت مجهر الحركة النفسية. يقول أبو ريشه مثلاً :

أريد الوجود منتهك الستر ... يرينا أسراره عريانا
ويفض الفدام عن قلبه السمح ... ويجريه للعطاش دنانا
لو بلغنا ما نشتهي لرأينا الله ... في نشوة الشعور عيانا

هنا معرض ألفاظ يعج بصور فكرية عادية التلوين مألوفة الأضواء، كل ما يهزك منها هو هذا الإطار التعبيري الذي يحيط بالصورة، ويضفي عليها شيئاً من الجمال، الجمال الذي يطالع الأنظار والأسماع ولا يطالع المشاعر والنفوس ! ولكن الذوق المرهف يعود إلى محرابه الأصيل عند روحي فيصل عند ما يهتز طرباً، وأهتز معه لهذا التصوير النفسي الموفق في هذين البيتين لمهدي الجواهري حول قسوة القدر على حياة أبي العلاء :

على الحصير وكوز الماء يرفده ... وذهنه، ورفوف تحمل الكتبا
أهوى على كوة في وجهه قدر ... فسد بالظلمة الثقبين فاحتجبا

ولمحة أخرى للأستاذ فيصل تبلغ الغاية في الإشراق، لمحة أصافح عليها يقظة النقد عند هذا الناقد الذواق ... بيت من الشعر في قصيدة عمر أبي ريشه مأخوذ من بيت آخر في شعر شوقي، ويشهد الله أنني وقفت عند هذا البيت ورددته إلى منبعه الأصيل وتحدثت عنه منذ عام إلى بعض إخواننا من الأدباء، وكان ذلك يوم أن تلقيت من لبنان ذلك الديوان الجديد الذي أخرجته دار مجلة « الأديب » للشاعر أبي ريشه، والذي حوى إلى جانب ما حوى من شعره قصيدته التي ألقاها في مهرجان أبي العلاء ... يقول شوقي في « مجنون ليلى » :

قد يهون العمر إلا ساعة ... وتهون الأرض إلا موضعا

ويقول عمر أبو ريشه :

قد تجف الحياة إلا وريدا ... ويضيق الوجود إلا مكانا

ويقول روحي فيصل : « ... والتقى شاعرنا مع شوقي في بيت لا أدري كيف أخذه في رابعة النهار » ! ثم يسكت عن الموازنة، تاركاً الحكم للقراء، حيث يقول : « أي البيتين أجمل وأروع ؟ لا أريد أن أقطع أنا بالجواب الواضح، فالترجيح متروك لذوقك وفطنتك، ولفهمك فن البيان وفلسفة اللفظ، وحسبي الآن أني أثرت شوقك إلى البحث والموازنة، على ضوء مزاجك وثقافتك وصراحتك » ...

سكت الأستاذ فيصل عن الموازنة، ولكن هذا السكوت أفصح من كل كلام ... ولو كان في المجال متسع للإقامة لقدمت أنا إلى القراء نقداً مفصلاً في مجال الموازنة بين البيتين، نقداً ينتهي فيه الحكم الأخير إلى هذه الكلمات :

لقد حاول أبو ريشه أن يقف من شوقي موقف سلم الخاسر من بشار فلم يبلغ شيئاً ... إن الفارق بين بيت أبي ريشه وبيت شوقي، هو الفارق بين الجبن البلدي والتفاح الأمريكاني ! !

وتبقى بعد هذا كله كلمة أخيرة أوجهها إلى الأستاذ روحي فيصل، وهي أن كثيراً من النقاد المتذوقين قد خلا منهم الميدان منذ أمد طويل، وحبذا لو تفرغ للنقد الأدبي ليضم جهده إلى جهود هذه القلة التي تعمل مخلصة على سد هذا الفراغ !

مصرع الكاتبة الأمريكية مرجريت ميتشل :

أسفت كل الأسف وأنا أطالع في الصحف منذ أيام نبأ مصرع الكاتبة القصصية الأمريكية مرجريت ميتشل ...

ومرجريت ميتشل كما لا يخفى على القراء هي مؤلفة تلك القصة الرائعة التي قرأها الملايين وشاهدوها على الشاشة ، وأعني بها قصة « ذهب مع الريح » . إن مصدر أسفي على مصرع هذه الكاتبة العظيمة هو أنها استطاعت بقصتها تلك أن تخرج أثراً فنياً لا يمكن أن تقاس إليه آثار كاتبة أخرى مثل جورج صاند ، وأن تقدم الدليل على أن الأدب الأمريكي الحديث على تفاهته لا يخلو من الروائع ، وأن قدرة المرأة على استكناه حقائق الحياة واستكمال أدوات الفن تفوق قدرة الرجال في بعض الأحيان !

ومن دواعي الأسف أيضاً أن تختم حياة هذه الفنانة بمثل هذا الختام الذي يثير الأسى والشجن ... لقد كان من الممكن لو لم يقض القدر القاهر بانطفاء الشعلة المتوهجة في الخيال الخلاق ، أن يفيض النبع أكثر مما فاض فيظفر عشاق القصة الطويلة بأثر فني آخر يضاف إلى ذلك الأثر الوحيد الفريد ، وأعني به « ذهب مع الريح » ! مهما يكن من شيء فحسب مرجريت ميتشل أن يدرج اسمها في سجل كتاب القصة الأفذاذ بهذه التحفة اليتيمة التي كانت في حساب الفن كل رصيدها الدخر ، وإنه في ميزان النقد لرصيد عظيم ... ومهما يكن من شيء أيضاً ، فإن طريق الخلود لا يسلكه السالكون بكثرة ما قدموا إلى الناس من نتاج القرائح وعصارة الأذهان ، وإنما يسلكونه بقيمة هذا النتاج ومدى تمثيله لصور الحياة وتصويره لحقائق النفوس على اختلاف الميول والأذواق وتفاوت الأجيال والعصور . الكيف لا الكم في ميزان الفن هو وحده أساس الخلود والبقاء ؛ وإلا لما استطاع كاتب مثل بنجامان كونستان أن يأخذ مكانه في صفوف الخالدين بقصة واحدة هي أدولف تلك القصة التي قال عنها بول بورجيه : « إن أدولف لتعد مثلاً أعلى للقصة الذاتية ، ولقد بقيت من كل تلك القصص التي ظهرت في القرن التاسع عشر وهي أحفلها بالحياة ، وأكثرها إنسانية ، وأشدها أسراً للشعور ، ولا توجد قصة أخرى تهزني كما هزتني هذه القصة » ... كما قال عنها فردينان برنتير : « إن أدولف قصة إنسانية لا يمكن أن ترقى إلى حقيقتها التحليلية قصة أخرى

ينظر بورجيه إلى الفن من ناحية القيم الإنسانية ، وينظر إليه برنتير من ناحية القيم التحليلية ، وبهذين الجناحين معاً يحلق الفن في أرحب الآفاق ، فإذا ما نال منه الجهد فهبط ليستريح فإن مكانه هناك ... في أعالي القمم ! أما الإنسانية في « ذهب مع الريح » فهي في تلك الدفقات العاطفية العميقة المنبعثة من قلب امرأة حائرة بين رجلين : رجل جدير بحبها ومع ذلك فهي لا تحبه ورجل غير جدير بهذا الحب ومع ذلك فهي تحبه ، وهكذا كان حال « سكارليت » وهي موزعة الفكر والشعور بين « أشلي » و « بتلر » ! ... وأما التحليل فهو في تلك الصفحات الزاخرة بقصف المدافع ودوي القذائف وأنات الضحايا وزفرات الثكالى وعصف الحديد ، هناك حيث تقدم مرجريت ميتشل للحرب الأهلية الأمريكية صورتين لا مثيل لهما في متاحف الفن ومتاحف التاريخ ! ...

بعض الرسائل من حقيبة البريد :

بين يدي وأنا أكتب هذه الكلمات كثير من رسائل القراء في مصر والأقطار العربية ... أما الذين يمنون إليّ برسائلهم معبرين عن حسن الظن وكريم التقدير فلهم خالص الشكر وعاطر التحية ، وأما أصحاب الأسئلة التي يوجهونها إلي في محيط الأدب والفن فبودي أن أوجه إلى بعضهم رجاء خاصاً ، هو أن يراعوا في أسئلتهم مدى الفائدة التي يمكن أن تعود على القارئ وهم في انتظار الجواب ؛ وذلك بأن تكون الموضوعات التي تثار جديرة بخلق قضية من القضايا الأدبية يهم القراء وضعها على بساط البحث والمناقشة .. وإلى الأعداد المقبلة حيث أتناول بالتعقيب بعض هذه الأسئلة ، ولا بأس من تسجيل الشكر في مجال الرد على بعض التحيات ...

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

سلامة موسى يعارض التعليم الديني :

منذ أسابيع أصدر معالى وزير المعارف قراراً بجعل التعليم الدينى مادة إجبارية فى المدارس الابتدائية بعد أن كان مادة اختيارية لا يجب تحصيلها لاجتياز الامتحانات ، فأصبح من المواد الأساسية التى لا بد من الامتحان فيها لبلوغ النجاح . وقد كان لهذا القرار موقع حسن فى النفوس ، اغتبط له كل من يقدرون أثر الدين فى طبع الناشئة بطابعه ، وتشرب نفوسهم روحه ، وتبصيرهم بحقائقه ، ليكونوا مواطنين متعاونين على الخير ، متمسكين بالفضائل ، متهجين نحو المثل العالية .

ولكن فى مصر — مع الأسف — مفكراً حرا ، أو هكذا يقولون ، لم يغتبط لذلك ، بل ابتأس له ، واعتبره تخلفاً ورجعية … ذلك المفكر الحر المزعوم هو سلامة موسى ، كتب مقالا فى جريدة « النداء » بعنوان « الرجعية تتحدى الزمن » قال فيه : « ونحن نقرأ هذه الأيام عن حركات يراد منها تقييد التعليم فى الجامعة ، وبعث التعليم الدينى فى المدارس على الرغم مما سوف يحدثه من خلاف بل شجار بين المسلمين والأقباط » ولست أدرى أين قرأ عن الحركات التى تقيد التعليم فى الجامعة . وقال « … وعباس العقاد أيضاً يقول بأننا نكون شيوعيين حين نقول بفصل الدين عن الدولة ، فهل فهم نهرو ذلك أيضاً ؟ وهل كان شيوعياً عند ما فصل دولة الهند من ديانتها الهندوكية ؟ إن لنهرو مذهباً فى الوطنية وللرجعيين فى مصر مذهباً آخر ، فأيهما أصح ؟ » ثم قال « وأعود فأطلب المقارنة بين الساسة الهنود والساسة العرب فى أقطار الشرق العربى كله ، وأعود فأتساءل : هل نحن المصيبون وهم المخطئون أو العكس ؟ لقد فصلت الهند الدين من الدولة فى حين أننا شرعنا فى تعليمه بالمدارس وجعلناه مادة أساسية » .

وسلامة موسى ، إذ يقول هذا الكلام ويفكر ذلك « التفكير الحر » إما أن يكون سيىء النية نحو الدين الإسلامى متعصباً ضده ، وإما أنه يجهل حقائق هذا الدين فهو يكتب عن جهل ويدس أنفه فيما لا يعنيه ، وقد يجتمع الأمران ولكنى أوثر الإغضاء عن الأمر الأول ، فحسبه جزاء عليه ، إن كان ، ما يجد من الغيظ فى نفسه ، وإذن لا أجد مناصاً من الأمر الثانى وهو جهل مفكرنا الحر حقائق الإسلام .

إن الإسلام ليس دين عزلة ، وإنما هو نظام حياة وتشريع مجتمع ، وتعليمه فى المدارس يهدف إلى التهذيب والتثقيف وتطبيق شريعته على مسائل الحياة المختلفة . فهو يختلف عن الديانة الهندوكية ، وأظن أن سلامة يعرف الهندوكية ويعرف ما يبرر فصلها عن الدولة فى الهند ، ولكن الذى لا يعرفه — على أحسن الفرضين السابقين — أن الإسلام ليس كالهندوكية فى ذلك . فلا محل للمقارنة ، التى بدأها وعاد إليها ، بين ساسة الهنود وساسة العرب ، وما كان أحراه أن يمسك بزمام « فكره الحر » فلا يدعه يخبط ذلك الخبط العجيب .

ومن جهل سلامة موسى أنه لا يعرف أن المجتمع الإسلامى عاش قروناً على الجمع بين الدين والدولة ، وأن الأزمان التى أصابه فيها الضعف هى التى كان فيها الساسة يبعدون عن الدين ، وأن المجتمع الإسلامى والدول الإسلامية كانت تحتضن علماء ومفكرين من غير المسلمين وتكرمهم وتحلهم المكان اللائق بهم ، وأن هؤلاء وغيرهم من سائر المخالفين فى الدين كانوا يعيشون مع المسلمين عيش المواطنين المتضامنين ، فلم نسمع عن خلاف أو شجار حدث بسبب التعليم الدينى بين المسلمين والمسيحيين ، ولم نسمع أن أحداً من المسيحيين خرج على مقتضى الترابط الاجتماعى فآذى أحداً أو أطلق « أفكاراً حرة » كالتى يطلقها سلامة موسى فى آخر الزمان …

وبعد فإن سلامة موسى يقول دائماً ، ويردد مريدوه ، إنه صاحب دعوة جديدة فى الكتابة ، تلغى العاطفة وتحكم العقل وتقوم على الاطلاع والبصر بالأمور ، فهل ينطبق هذا على ما كتبه عن تعليم الدين الإسلامى بالمدارس ومقارنته بالهندوكية ؟ لقد بينت أنه فى ذلك إما صادراً من التعصب أو الجهل أو كليهما ، وفى التعصب « عاطفة » الكراهية ، وفى الجهل جهل … فهل

هذا من مقتضيات تلك الدعوة ؟ أو هي « أفكار حرة والسلام ! » ؟

العصر الإذاعي :

تحدثت السيدة تماضر توفيق الذبحة ، إلى محرر مجلة « الاستديو » بعد عودتها من انجلترا حيث كانت تشترك في دراسات إذاعية بمحطة لندن ، فجاء في حديثها عن الإذاعة البريطانية أنه لو حدث أن أذيع هناك حديث يخالف المنهج المرسوم لأحاديث الإذاعة فإن المقالات تكتب في نقد هذا التصرف ولوم المشرفين على البرامج الذين يهتمون بهذا النقد ويعملون على تحقيق ما يوجه إليه .

قرأت ذلك وقارنته بما يحدث عندنا فشعرت بالأسف . هناك الجمهور راض عن برنامج الإذاعة في جملته لأنه مرض فعلا ، فإذا حاد منه شيء عن الجادة دفعه الحماس والغيرة إلى اللوم والنقد وهو يثق أن هناك من يصغي إليه . وهنا اعتاد الناس أن يسمعوا الإذاعة تخبط كما تشاء ، لا منهج لها ولا غاية ، وإنما هو الاعتساف والفوضى وسوء الاختيار ، وما ينشأ من كل ذلك ذلك من تقديم بضاعة ليس

لأكثرها من فائدة إلا تزجية الوقت وسد الفراغ ، فإذا كتب ناقد أو صاح غيور ذهبت الكتابة والصيحة مع الريح ، ولا تجد لها صدى إلا ما تنشره مجلة الإذاعة من أشباه البلاغات الرسمية التي تقول فيها إن ما تنشره الصحف والمجلات جميعاً عن الإذاعة غير صحيح ...

وعلى ذكر مجلة الإذاعة أذكر أن محطة الشرق الأدنى للإذاعة العربية تصدر مجلة أول ما تقرأ فيها نقد برامج المحطة ، وقد وزعت أبواب البرامج من أدبيات وتمثيليات وموسيقى على كتاب يتتبع كل منهم ما يذاع في بابه ويتناوله بالنقد . أما مجلة إذاعتنا فهي تشبه بعض صحف الأحزاب السياسية المتطرفة في الحزبية ، لا هم لها إلا الدفاع عما هي لسان حاله وري المنازع يرى بكل الصفات الذميمة .

وقد أفضى كل ذلك إلى أن انصرفت قلوب الناس عن الإذاعة ، وأيأسهم من صلاحها ضياع صيحاتهم مع الهباء ، ولم يسعهم إلا أن يسكتوا مسلمين أمرهم إلى الله ، وقد وطنوا أنفسهم على احتمال الأذى وسماع جانبيه صباح مساء ... وأخذوا أنفسهم بالصبر على استبداد الإذاعة بهم وإسماعهم ما يكرهون

كشكول الأسبوع

□ بعث وزير المعارف بسوريا برقية إلى الأستاذ الكبير ساطع الحصري مستشار اللجنة الثقافية بالجامعة العربية ، يستدعيه فيها إلى دمشق لتنظيم الشئون التعليمية هناك ، وقد لبى الأستاذ الدعوة فسافر يوم الأربعاء الماضي .

والأستاذ الحصري من رجال الفكر والثقافة المبرزين في العالم العربي ، ويمتاز بالإخلاص لفكرته وتحررها من المؤثرات الغريبة عنها ، فهو ربح لكل عمل يسند إليه ، وهو غيث أينما نزل .

□ أعدت اللجنة الثقافية للجامعة العربية برنامج المؤتمر الثقافي الذي يعقد في خريف العام القادم ، وسيكون مدار البحث فيه مسألتين ، الأولى : هل من الخير للدول العربية أن تبيح التعليم الجامعي لكل من يطلبه أو تقتصر على قبول المتفوقين . المسألة الثانية تحديد الأغراض العليا التي ينبغي أن يتجه إليها التعليم في البلاد العربية

□ صرح الدكتور أحمد أمين بك بأن مصر وسوريا شرعتا في العمل بتوجيهات المؤتمر الثقافي الأول التي تتضمن توحيد برامج التعليم بالبلاد العربية في اللغة العربية والجغرافية والتاريخ والتربية الوطنية ، وذلك في البرامج الجديدة للموسم الدراسي القادم .

□ قال الدكتور زكي مبارك في « البلاغ » : إن سلامة موسى مفكر حر على طريقة القرود .

□ في برنامج الإذاعة ليوم الأربعاء الماضي ، حديث اقتصادي وصف في البرنامج بأنه « في متناول الفهم » وهذا يدل على أن صاحب البرامج قد فهم الحديث ... وقدا لزم التنويه .

□ تلقى زميلنا الأستاذ أنور المعداوي كتاباً من أحد إخواننا في السودان ، يطلب فيه العمل على إلحاق ولده بإحدى المدارس الثانوية في مصر ، وأرفق الكتاب بالمؤهلات الدراسية وشهادة الميلاد . وقد بنى طلبه على ما يشعر به من المودة والإخاء إزاء الأستاذ المعداوي لما يقرؤه له في الرسالة كل أسبوع . ولا يزال الأستاذ أنور مجداً في السعي والبحث عن المدرسة المطلوبة .

□ تفتتح الفرقة المصرية موسمها القادم بالأوبرا الملكية في أوائل أكتوبر المقبل . ولدى الفرقة الآن ثلاث روايات جديدة ، هي « اليوم خمر » لتيمور و « شجرة الدر » لعزيز أباظة و « ألف ليلة وليلة » لبيرم التونسي . ولم يتقرر بعد بأيها تبدأ الفرقة

□ في فلم « العيش والملح » ينادي بائع الصحف : الأهرام والمصري وأخبار اليوم ... ألا يعلم المخرج أن هذه الصحف الثلاث لا تصدر مجتمعة في يوم واحد ؟

□ ينعقد الآن في لندن مؤتمر ثقافي مصري ينظمه مكتب البعثات المصري بلندن ، ويدرس المؤتمر شئون التعليم والثقافة والفنون المتصلة بمصر ، ومما يذكر أن لغة الإلقاء والخطابة فيه هي اللغة العربية.

□ جاء من نيويورك أن الأستاذ أحمد فراج مندوب مصر في اللجنة الخاصة بالمعلومات الثقافية عن المناطق التي تتمتع بالاستقلال الذاتي ، حمل على سياسة الفرنسيين في فرض اللغة الفرنسية على سكان شمال إفريقية الذين يتكلمون لغة واحدة هي اللغة العربية التي تتخذها البلاد العربية باعتبارها أداة ثقافة عالية كان لها أثر كبير في الحضارة الإنسانية .

وفرض راجعها عليهم ضريبة ثانية إلى جانب الضريبة المالية السنوية .

والعادة المتأصلة فى المصريين أن ينفسوا عن أنفسهم وينتقموا من المستبد بهم بالفكاهة والتندر عليه ، وما أكثر وأظرف ما نسمع من ذلك عن الإذاعة . ولباحث اجتماعي أو تاريخى أن يرجع هذه الظاهرة إلى أن الفترة التى تمر بها الإذاعة الآن تشبه عصور الاستبداد الماضية ، فقد تسمى هذه الفترة بعد ذلك « العصر الإذاعى » نسأل الله الخلاص والسلامة ..

الموضوع فى فنوننا :

أقصد بهذه الفنون السينما والغناء والموسيقى ، وأعنى بالموضوع فيها فكرة التأليف ، وهى تكاد تكون معدومة فى هذه الفترة من زماننا . والملاحظة أن تلك الفنون قد تقدمت وارتقت فيما عدا الموضوع ، وخاصة السينما ، فالتمثيل فيها جيد على العموم وكذلك ما يسمونه (حرفية السينما) وعندنا بعض المخرجين الذين يجيدون فنهم ، وإن كان بعضهم يفرض نفسه على التأليف فيأبى إلا أن يكون مخرجاً ومؤلفاً فى آن فلا يكون شيئاً ... أما القصة فهى بيت الداء فى السينما المصرية ، وتسعة وتسعون فى المائة من قصص الأفلام المصرية لا موضوع لها ، فهى حوادث يتخللها غناء ورقص وإضحاك ، وأحسنها ما كانت هذه الأشياء فيه ممتعة بعيدة عن السخف ، ومن اللوازم التى تتكرر فى معظم الأفلام أن تنزل بالبطلة كارثة ، أو تقع فى أزمة ، فتضطر إلى كسب رزقها ، ولا بد أن تكون مطربة ، فتلتجىء إلى ملهى تغنى وترقص فيه ، وهنا تجىء الفرصة الذهبية لتقف حوادث القصة ريثما يستمع المشاهدون ببرنامج الملهى الطويل ... وبعد ذلك وعلى مهل يعثر الأب على ابنته والأخ على أخته والمحب على حبيبته حيث تعمل فى الملهى ، بعد أن يشبع الناس من السماع والنظر والضحك . وهذا كله قد يكون لا بأس به ولكن على أن يتلف شيئاً ، أما أن يكون فارغاً فإنه لا يدل إلا على الفراغ الهائل فى ذهن المؤلف .

ومن المضحك أن بعضهم يحاول أن يجمل لقصته موضوعاً « تلبية لرغبة الصحافة والنقاد » وقد قرأت هذه العبارة التى بين الأقواس على الشاشة فى تقديم أحد الأفلام ، يحاول المؤلف أو المخرج ذلك فيدس فيها شيئاً من قبيل الوعظ الخلق أو بعض العبارات الوطنية الجوفاء ، فلا تزيد الفلم إلا روداً وسماجة ، وذلك للتكلف وإيراد الشىء فى غير موضعه . ومما يدعو إلى الضحك والأسف معا أن يقولوا فى الدعاية عن الفلم إنه يعالج مشكلة اجتماعية ، وليس فيه عن المشكلة إلا بعض مناظر عابرة أو كلمات متناثرة لا تبرز ناحية ذات شأن من المشكلة فضلا عن معالجتها .

ويدعى هؤلاء المؤلفون أنهم ينزلون إلى مستوى الجمهور ، وهذا ليس صحيحاً ، لأنهم ليسوا فى مستوى أعلى ينزلون منه ... والنزول إلى مستوى الجماهير لا يكون مفيداً إلا إذا كان مع النازل شىء يقدمه إلى من ينزل إليهم بالاحتيال على إساغتهم إياه .

هذا وفى وزارة الشئون الاجتماعية لجنة للنهوض بالسينما ، لست أدرى ماذا تعمل لهذا النهوض إن لم يكن فى مقدمة ما تعمله العناية بهذا النقص فى الأفلام . وهناك رقابة تمنع ما يخالف الآداب العامة أو يمس الأمن العام ، ولست أدرى لماذا لا تكون هناك رقابة تمنع ما يفسد الذوق العام .

أما الغناء والموسيقى والأغانى الفكاهية (المنلوجات) فهى كذلك فى مجموعها ، ينقصها الفكرة والموضوع ، وقد كانت الأغانى الفكاهية تدور حول موضوعات وطنية واجتماعية ولكنا الآن صرنا لا نكاد نسمع من الإذاعة غير «ورد عليك فل عليك» وأشباه ذلك . وأغانى الأفلام تصلح بصلاحها إن صح العزم على رقيها . أما الأغانى التى تقدمها الإذاعة فالله المستعان عليها وعلى الإذاعة .

عباس خضر

البريد الأدبي

بين الأدب والوطنية والأخلاق :

تفضلتم فى عدد (الرسالة) المؤرخ ٢٢ أبريل سنة ١٩٤٦ بأمنياتكم الودية لى وأنا فى طريقى إلى أمريكا ، وكان تلطفكم هذا تعليقاً على رسالتى إليكم التى هى آخرة ما كتبتُ إلى أصدقائى الصحفيين فى مصر ، فجعلتكم رمزَ مَنْ أقدّرهم من رجال المهنة التى لستُ غريباً عنها ، ولذلك أحرص على ألا تشوب مودّتنا أية شائبة، ولذلك يؤسفنى — وأنتم تعلمون مبلغَ إعزازى الشخصى لأدبكم ، ومهما يكن مبلغُ تقديركم لحرية النشر — أن تنشروا ما نشرتم ضدّى فى عدد الرسالة رقم ٨٤٢ المؤرخ ٢٢ أغسطس سنة ١٩٤٩ دون أن تُقابلوا مودّتى المحرّبة لكم بكلمة استفهام خاصّةٍ ترسلونها إلىّ قبل أن تسمحوا لمنبركم العالى بترديد مطاعن جارحة فى أخلاقى وفى محبتى لمسقط رأسى ، اعتماداً على كلمة يذيعها صاحب جريدة اشتهرت بتلفيق الأخبار كما اشتهرت بمجانبتها حرية الرأى ، وقد بلوتُها من قبل تكراراً ، ولا ينبئك مثل خبير

إن كاتبكم الفاضل على غير علم — على ما يبدو — بقانون الجنسية المصرية ، كما أنه لا يعرف مدلول « الجنسية المزدوجة » التى يتمتع بها آلاف الأفاضل بل العظماء والمتفوقين من اللبنانيين فى أمريكا حتى يتمكنوا من الانتفاع بحقوقهم المدنية بهذه البلاد أولئك الذين تمجدهم الحكومة اللبنانية ذاتها وتفتخر بهم بأعلى صوتها ، وقد صفق لهم حافظ ابراهيم بك وهتف بمديحهم وبالدعوة إلى التشبه بهم ، فهتف المتعلمون من المصريين ، بل ومن جميع أقطار الضاد بعده وأمّنوا على مديحه . ولستُ إلاّ أحد القلائل من المصريين الذين جاروهم ، ولن أستفيد من هذا الحق إذا شئتُ إلا بعد استئذان حكومتى المصرية .

وأن ما نشرته (أخبار اليوم) ضدى ليس إلا مثالا من الجحود الطاهر المفيف جزاء لخدماتى لوطنى الأول فى شتى البيئات ابتداء بهيئة الأمم المتحدة وانتهاء بجامعة نيويورك فضلا عن منابر الصحافة الحرة الراقية وفى مقدمتها (الهدى) و (السائح) و (النيويورك هرالد تريبيون) بعد أن حال الرقيب دون نشر آرائى الحرة فى مصر ، ولحبتها وسداها الدفاع عن صوالحها العليا وعن عاملها وفلاحها وعن حرياتها العامة وعن عرش مصر .

أما ادعاء انحرافى عن الكرامة الوطنية والقول « بأن مصر لا تستحق بجوى عليها إلا لسبب واحد هو أنى من أبنائها ، وإن كانت كفرت عن ذنبها بلفظى وقذفى إلى ما وراء البحار » ، فجوابى على هذه الفلسفة الباطلة من أساسها أن مصر ذاتها أكرم من أن تصنع ذلك برجل خدمها طول حياته وبسليل أسرتين عريقتين لم تعرف عنها إلا محبة مصر والتضحية لها ، وما تركت مسقط رأسى إلا وأنا المحب له والباقى على محبتى . أجل ، من الظلم توجيه هذه التهمة إلى مصر الخالدة التى اتسع صدرها وحلمها لآلاف المرتزقة والوصوليين وشذاذ الآفاق وقليلى الأدب .

بقيت الأوصاف الكريمة التى نعت بها أدبى وشعرى ، وهذه من حق ناقدكم التلفظ بها وتدوينها وسأعمل على اطلاع أدباء المهجر عليها حتى لا يقعوا فى نفس الغلطة التى وقع فيها زملاء لهم بمصر وفى غير مصر من أقطار الضاد ، فيتجنبوا المغالاة فى تقديرى وقد يرون حينئذ أنى غير أهل لأى تقدير ... كذلك سأعمل على اطلاعهم على الآراء النيرة الأخرى ليعرفوا مصادر عبقرية خليل مطران بك وعلى من تتلمذ فى مصر !

وإنى إذ أرجو إليكم التفضل بنشر رسالتى هذه أهدى إليكم تحيتى واحترامى .

المخلص

(نيويورك) **أحمد زكى أبو شادى**

(الرسالة) التعليق للأستاذ عباس خضر

حول (أبو شادى العجيب) !

قرأت بالرسالة الغراء عدد (٨٤٢) كلمة للأستاذ عباس خضر عن (أبو شادى العجيب) . وقد آلمنى حقاً الأسلوب الذى تحدث به الكاتب الفاضل عن رجل كان له فى الحياة الأدبية أثر لا ينكر . وإذا تركنا قيمة أبوشادى كشاعر جانباً لأنه يحتاج لنقد دقيق ودراسة كاملة نخرج منها إما للشاعر أو عليه ، فلا يستطيع منصف أن يذهب معه إلى أن أبو شادى (حاول أن يقنع الناس بأنه شاعر فأخفق ولم يفلح إلا فى إفساد المذهب التجديدى فى الشعر العربى الذى دعا إليه العقاد والمازنى وعبد الرحمن شكرى وكان من رواده خليل مطران (فأولا من المعروف أن أبو شادى بذل مجهوداً صادقاً فى خدمة الأدب الحديث وأقل ما ينسب إليه

من فضل أنه جمع جمهور شعراء العربية وحفز همم الشباب منهم بنوع خاص. ومن ينكر نشاط جماعة أبولو التي كان رئيسها شوقي ووكيلها أحمد محرم وسكرتيرها أبو شادي ؟ وأعتقد أنه قبل مجلة أبولو وهي مجلة خاصة بالشعر ودراساته مما لم يسبق له نظير في عالم الصحافة العربية كان القارىء العربي لا يعرف شيئاً عن هذا العدد الكبير من شعراء الشباب بنوع خاص نذكر في طليعتهم الشاعر أبو القاسم الشابي ... فهل أفسد سليقته أبو شادي ؟

وأعجب لقول الكاتب عنه (وقد طهرت منه مصر منذ ذلك الحين وتنفس الجو الأدبي الصعداء وشرع بعض الشعراء الذين أفسد سليقتهم الشعرية في إصلاحها) .

ونقطة أخرى نحب أن نصححها لوجه الله والتاريخ — أظن أن من المعروف أن خليل مطران كان إمام المذاهب التجديدي للشعر العربي الحديث قبل أن يدعو إلى ذلك العقاد والمازني ، وعبارة الكاتب تقول إن خليل مطران كان من رواد المذهب الذي دعوا إليه ... فكيف يستقيم هذا مع التاريخ الأدبي الصحيح ؟

أما الخبر الذي ساق الأستاذ عباس خضر لهذا التجني على أبو شادي وعلى التاريخ الأدبي فلم يحفل بالتحقق منه وما كان يصح أن يستقي مصادر (الأدب والفن في أسبوع) من غير مصادرها و (المدى) جريدة عربية وإن صدرت في نيويورك ولا يعدم معرفة مهاجر هناك أو قارىء عربي لها هنا ... إن لم تكن تهدى للرسالة .

وهل تأكد الأستاذ من أن ما كتبه أبو شادي كان في غير مشاكل مصر ؟ وقليلون في مصر هم الذين يجدون الحرية والشجاعة للكتابة عنها ..؟

وهل يعرف الأستاذ أن الدكتور أبو شادي آثر أن ينجو بكرامته حتى لا تمتهن وإن فقد بذلك مصدر عيشه وإن ضاق به وطن عاش من أجله في خدمة الأدب والعلم ... لا مهرجاً في الأسواق السياسية وكان من قبله أبوه أحد أعلام الحركة الوطنية.

عز على الرجل أن يهون ويقدم عليه من هم دونه .

لقد هضم حق أبو شادي فلم يذكره أحد في محنته بكلمة حق وهاجر فما ذكره أديب ممن كانت له عليهم أياد ...

(دمنهور) **عبد الحفيظ نصار**

١ — بواسل ليست من لحن القول :

كتب الأستاذ « أنور المداوي » في بعض تعقيباته يقول : « أنا شديد الإعجاب بأن يكون بين جنودنا البواسل من يقرأ الرسالة ويعشق الأدب » وقد حسب الأستاذ « عبد الجليل السيد حسن » أن جمع باسل على بواسل من لحن القول الذي شاع استعماله في هذه الأيام بين عامة الكتاب فكتب في البريد الأدبي كلمة يعلم بها « السادة الأفاضل الكتاب » صواب هذا اللحن ، قال فيها « وهذا الجمع غريب شاذ ، فلا المعاجم تذكره ، ولا القياس يبرره ، ولا السماع يؤيده ، فلم لا نقتله ونحيي لفظين رشيقين صحيحين يستمد بهما الذوق وهما بسل وبسلاء »

وهذا قول كما تعوده بعض المصححين من جرأة بالغة على اللغة وعلى مالا يعلمون . إن « بواسل » كلمة عربية رشيقة فصيحة صحيحة ، مسموعة عن العرب الخلص منذ الجاهلية الأولى ، قال باعث بن صريم اليشكري يذكر يوم الحاجر :

وخمار غانية عقدت برأسها ... أصُلاً وكان منشراً بشمالها
وعقيلة يسعى عليها قيم ... متغطرس أبديت عن خلخالها
وكتيبة سفع الوجوه (بواسل) ... كالأسد حين تذب عن أشبالها
قد قدت أول عنفوان رعيلها ... فلففتها بكتيبة أمثالها

وتجد الأبيات في ديوان الحماسة ٢/١١ وقال المحاربي كما روى ابن الشجري في حماسته ص ٧٣

أيا راكباً إما عرضت فبلغن ... خداشا وعبد الله ما أنا قائل
فلا توعدونا بالحروب فإننا ... لدى الحرب أسد خادرات (بواسل)

٢ — ذهب توا :

وكما جانب المعقب الصواب في إنكار « بواسل » فقد جانبه كذلك في إنكار « ذهب توا » حيث يقول « ومما يقلبه الكتاب عامتهم قلباً ويمسخونه مسخاً ويسلخونه سلخاً استعمالهم توا بمعنى الساعة وحالا فيقولون ذهب توا وذهب لتوه . وهذا المعنى تلفظه المعاجم وتنبذه اللغة ، وما قالته هو : التو يعني الفرد فذهب توا أي فرداً أو لم يلوه شيء . والصواب توه » وهذا الذي قاله غير

صحيح أيضاً ، قال الزمخشري في الفائق : « ومنه قولهم سافر توا إذا لم يعرّج في طريقه على ما كان » وفي القاموس : « التو الفرد والحبل ، وبهاء الساعة ، وجاء توا : إذا جاء قاصداً لا يعرجه شيء فإن أقام ببعض الطريق فليس بتو » .

هذا وإني أنصح الأستاذ المعقب بنصيحة خالصة نصحني بها منذ أكثر من عشرة أعوام صديق الراوية الأستاذ « محمود محمد شاكر » ونحن نقرأ حماسة ابن الشجري ، قال لي عند ما قرأت قول باعث اليشكري : وكتيبة سفع الوجوه بواسل : « وهذه كلمة أغفلتها المعاجم فيما أغفلت من أوابد اللغة وشواردها ، ومن ثم أنصح لك ألا تقطع برأي فيما لا تجده في المعاجم إلا بعد تثبت ؛ فإن كثيراً من ألفاظ اللغة موجود في الشعر الجاهلي والشعر الإسلامي ولم يقيده الرواة في معاجم اللغة ، واقتصروا أيضاً في شرح بعض الكلمات على ما ورد في أبيات بعينها مما رووه ، وفيما لم يرووه ولم يشرحوه كثير مما ينبغي أن يشرح مرة ثانية بدلالة هذا الشعر » .

هذه نصيحة صديق الأستاذ « محمود محمد شاكر » وهي نصيحة قيمة تعصم من اتبع هداها من التردي في مهاوي العثرات .

وإني لأرجو من المعقبين اللغويين أن يلقوا إليها أسماعهم ليجنبوا القراء متاعب « الجماجم » الفارغة التي يثيرونها كل حين باسم الحفاظ على العربية ، وما بالعربية إلا قلة بصرهم بها ، وذهابهم توا إلى إنكار ما لا يعلمون من ألفاظها ، ونضر الله وجه الشافعي إذ يقول :

« ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً ، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي ، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها حتى لا يكون موجوداً فيها من يعرفه » .

السيد أحمد صقر

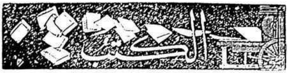
حول « ترميم الجامعة العربية » :

الأستاذ نقولا الحداد في هذا المقال قد سما به تفكيره الاصلاحي إلى غاية قصوى فوضع أمامنا سياسة رائعة للجامعة العربية وما ينبغي أن تكون عليه في الواقع ، ورسم لنا صورة خيالية أخاذة للجامعة المنتجة التي يراها جديرة بالحياة …

وفكرة الأستاذ جميلة من حيث هي مجرد فكرة ولكنها مستحيلة من حيث هي منهاج لتنفيذه في الواقع ، فأنا لا يمكنني أن أتصور الدول العربية تنزل عن سلطتها الدفاعية لبرلمان الجامعة ، كما أنه من العبث أن أتخيل الدول العربية تستطيع أن تدفع من ميزانيتها ذلك المبلغ الضخم الذي يقترحه الأستاذ والذي لا يقل مائتي مليون جنيه يجبيها هذا البرلمان من جميع الأمم العربية من غير اعتراض ولا تمنع أو نقاش ، وأخيراً أرى خيالي قاصراً عن إدراك ذلك المطمح البعيد الذي يدرك الدول العربية وقد أسلمت سياستها الخارجية لذلك البرلمان يتولاها وينفذ رأيه بماله من السلطة المسلحة ويفرض أحكامه بقوة السلاح …

لو فكر الأستاذ الفاضل بعقلية الواقع لأدرك استحالة فكرته لأن ذلك البرلمان الذي يقترحه لا يمكن أن يحقق كل ما تصبو إليه من آمال وأهداف ، فغاية الدول العربية ليست واحدة في جميع النواحي ومصالحها غير متفقة تماماً وظروفها الخارجية ليست موحدة تمام التوحيد ، وعلى ذلك لا يمكن أن تسلم الدول العربية سياستها الخارجية لبرلمان من هذا النوع مكون من أفراد لا يدركون جميعهم مصلحة الدول الممثلة فيه كما أنهم قد يرون رأياً يخالف ما أجمع عليه شعب من الشعوب ويكون في تنفيذه نكال بهذا الشعب ، والعذر لهم في ذلك لأن الغريب عن بلد لا يمكنه أن ينظر إلى مصلحته بعين المواطن الذي يدرك مصلحته تمام الإدراك ويبذل من نفسه مخلصاً في سبيل تلك المصلحة ، وعلى فرض أن الغايات توحدت — واعتبرت مصالح الجميع هدفاً واحداً للجميع — فإنه لا يمكن أن تتفق الأساليب في إدراك ذلك الهدف والعمل له . وهذه الحقيقة الواقعة تواجهنا في مجال الدولة الواحدة ممثلة في أحزابها ، فلكل حزب له أسلوب خاص يتبعه ، ومن هنا نشأت الخلافات والمشاحنات وانقلبت الأحزاب إلى جبهات مختلفة متعادية تقف كل واحدة أمام الأخرى لتحاربها مخلفة وراءها الأهداف التي قامت من أجلها …

ولا شك أن ذلك سيحدث في مجال البرلمان الجامع المقترح إذ يقف ممثلو كل دولة للدفاع عن وجهة نظرهم التي تخالف وجهات النظر الأخرى فينقلب البرلمان إلى ساحة فوضوية تتكسر فيها المصالح على صخرة الخلاف ، ولقد حدث ذلك الأمر تماماً في الجامعة



صـــــور من الريف

تأليف الأستاذ محمد زكي عبد القادر

بقلم الأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر

لقد استحفزت همة الكاتبين بعد أن أحمني إغفال «الريف»، وما فطر عليه من وداعة تبدو على قسماته ، والعمل الفني يجب أن يسحق إلى غاية عالية ، بخلوده إلى الحياة الملابسة لوجوده .

وليست المهابة فى استبهام البيان على الأفهام ، وإنما الإبانة المستدنية التى تداخل العواطف ، وتماطف القلوب ، وتناجى الآمال هى التى تكشف جوانب الجمال مع صدق التعبير .

واللفظ الشعرى فى مبناه ومعناه له إيقاع عجيب إذا اتسق مع سواه ، لأن موسيقاه لها صدى يتردد فى أعماق النفوس ، والصور الفنى فى تصويره المقتدر على تدانى مشاهد الحقائق حتى تتجسد فى مرأى الأبصار كأنها تحسها بين الألفاظ .

وخصوصية الكاتب تظهر فى لمة ذهنه ، وبراعة إلماعه ، وروعة تفرده مع رصانة الأداء ، وجاذبية العرض ، وسلاسة الوحدة التعبيرية ! لهذا أردت تقديم « صور من الريف » فى الرسالة الزهراء ؛ فقد استبنت فيها ما استبانه الإحساس الإنسانى على تفاوت درجاته ، وإن عمل القاص عسير إذا أراد الإلمام بالفطر الإنسانية ، والتنويه بتناقض الحياة على اختلاف تخالف الأحياء !

وإن تلك الصور الرائعة قد وضحت فيها ناحيــة جميلة تغيب عن تقدير متناولى الأسلوب القصصى لأنها تدور مع الحوادث ثم تعود إلى التلاقى مع « وصف الريف » فى كل خطرة منها ؛ فالقصص لا تورد لذاتها ، وإنما يقصد منها تبيان السذاجة الريفية فى عواطفها ، ومشاعرها ، وعقائدها وإيمانها ، وقناعتها ، واستسلامها ، ورضاها بالقدور .

العربية الحالية عنــدنا كانت فى أوج عظمتها فى أول الحرب الفلسطينية ، ذلك أنه رغم أن هدف العرب جميعاً كان تحطيم الدولة اليهودية المزعومة وتطهير فلسطين من أرجاس الصهيونية إلا أنه حدث نفس الخلاف عندما أمر مجلس الأمن بوقف القتال وتنفيذ هدنة مؤقتة ، وبذلك انقسم المجلس إلى جهتين إحداهما ترى رفض الهدنة والأخرى تحبذها ، ثم كان أن تنازل الفريق الأول عن مبدئهم إشفاقاً منهم على وحدة العرب فى ذلك الوقت الحرج وقبلت الهدنة التى كانت الغلطة الكبرى فى حرب فلسطين والتى تسبب عنها هزيمة العرب فى تلك المعركة .

هذا فضلا عمــا نراه من انسياع بعض الدول العربية إلى السياسة البريطانية انسياعاً تاماً ، ولا يشك أحد فى أن بريطانيا التى تعمل جاهدة على تحطيم وحدة العرب بشتى الوسائل والأساليب يمكنها أن تقف مكتوفة الأيدى إزاء هذا الأمر بالنسبة للدول التى تسيرها على الأقل .

هذه الدول العربية المتخمة بالمشاكل والأدواء لا يمكن أن يجتمع فى برلمان . هذا وإنه لا يمكننى أن أتخيل العراق أو شرق الأردن أو غيرها من الدول العربية تقبــل أن تضحى بشبابها وجنودها لتخرج الانجليز من مصر أو السودان ، كما أننى لا أقدر على أن تصور جيشاً مصرياً يستطيع اجتياز الحدود ليذهب إلى تركيا فيحاربها فى سبيل مصلحة سوريا التى تنازع تركيا إقليم الإسكندرونة . ومن العبث أخيراً أن نتوهم جيش الجامعة وقد أعلن الحرب على سوريا ولبنان وفيه جنود من أبناء سوريا ولبنان — ليكون بذلك سوريا الكبرى أو الهلال الخصيب ، أليس ذلك الشروع من مصلحة شرق الأردن والعراق والجامعة تعمل لمصلحة الجميع

أرى أن تتجه كل دولة إلى تقوية جيشها وإعداده لتحقيق أهدافها وإدراك استقلالها التام وحريتها الكاملة ، ويوم تتحقق للدول العربية آمالها وتصبح دولا قوية فتية مستقلة لها كيان محترم غير متزعزع ... يومئذ يجوز أن تتجه أنظارنا إلى تنفيذ مشروع كهذا .

السيد على الشوربجى
كلية الحقوق

يقول المؤلف المقتدر في « العيد » : « هذا الريف صنعه الله ، والله أيضاً هو الذى صنع هؤلاء الريفيين ، والله طهارة ونور وقداسة » .

ثم يسكت الكاتب الرائع تاركا نتيجة هذا « القياس » ... المنطقي التعبيري تلمع في خاطر قارئه المأخوذ بروعة بيانه .

ويقول في موضع آخر : « العيد في الريف ذكرى ، وخشوع ، وإيمان مطلق لكنه في المدن قطعة من اللهو والعبث والاستهتار » .

وليس المصور في هذا التعبير متجنياً على المدنية ؛ فالواقع أن جنون المظاهر تلعب ، فالانطلاق على غلواء الأهواء لا يعترف بزمام التؤدة والوقار ! ويدعي المدنيون أن ضيق نطاق القرية يدعو إلى التحفظ وتكلف التجمل لكن الرأفة بناقض دعواهم : « فالعيد في الريف نور وجمال له قدسيته وجلاله الذى يستمده من الدين » ، وقد أبدع الوصاف في تلك القولة الموجزة ، لأنه صور بها قوة عاطفة الإيمان لدى القروى الذى يبصر في نهاره وليله دلائل القدرة تتجمع في الآفاق ؛ فتوحى إليه بتقدير القدرة العالية ! وفي قطعة « ورقة النصيب » : « صورة محنة حقاً لأنها تجمع إلى قناعة الريف المتواضع الراضي طمع الحياة الإنسانية » .

ويعقد المؤلف بين خيبة المؤمل وحب الأمل فيقول : « لم يربح لكنه سعيد بالأمل ، سعيد في خياله ورجائه ، ولا بد أن يواتيه الرجاء والخيال يوماً » .

* * *

إن في « صور من الريف » نواحي متعددة تصور لك كما قلت حقائق الحياة في نطاق التجربة ، وإنما عمدت إلى « وصف العيد » و « ورقة النصيب » لأنهما يصوران حقيقة النفوس ، ويدلان على تعلقها بما يستحقها أو يدفعها إلى السكينة والدعة .

ولقد تهادت بين أعطاف هذه الصور ، أطياف من الحب الريفي القائم على التكتم واعتصار الفؤاد ، من دون الإفصاح من الانفعال حيث تضغط الشاعر بمنفط القسر والإرغام ، ويصور إحساس عذراء القرية حينما تفاتح في الزواج : « سألونى هل تتزوجين ؟ فعقد الحياء لسانى ولم أستطع أن أتكلم ، وإنما أجبت بالدموع ، ألحوا في السؤال فألحمت في البكاء ، ولو كانوا يفهمون أو يريدون أن يفهموا لأدركوا ماذا تعنى دموع عذراء » .

إن الأستاذ محمود زكى عبد القادر يحب الاستدلال على ما يصدر بقول غيره توكيداً لمراده ، ونلمح دائماً حبه الاستشهاد بأقوال الفرنجة ، والأدباء ملهمون يصدرون المعاني الإنسانية المشتركة على تباين الأديان والأقطار ، وقد نقل عبارة عن « واشنجطن أرفنج » في قطعة « على قبور أعزائنا » ترمز إلى أن زيارة القبور مدعاة إلى التوبة والندم ، ومع اعترافي بحسن اختياره ورشاقة ترجمته أوثر الاستدلال بما ورد في لغتنا إيناساً لها ، وتقريباً لموضوع الكتاب الداعي إلى تمجيد البيئة .

هذا ، ولست في إيرادى مؤاخذاً ، وإنما أقصد أن يكون هذا السفر الجليل خالياً من الكلف في وجه البدر .

(بورسعيد) **أحمد عبد اللطيف بدر**